من

رسائل إلى صديق

أو

الإسلام والإيمان والإحسان في رسائل

تأليف

أبو الوفاء محمد درويش

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار القاسم للنشر

الرياض ١١٤٤٢ ص . ب ٦٣٧٣

ت : ٤٧٧٥٣١١ فاكس : ٤٧٧٤٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

© دار القاسم للنشر ، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

درويش ، أبوالوفاء محمد

من رسائل إلى صديق.

١٠٤ ص ؛ ٢٤ سم

ردمك X-٦١-٧٥٩-٩٩٦٠

١ - الإيمان (الإسلام) ٢ - البر والإحسان أ - العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٥/٣٣٤٢

رقم الإيداع : ١٥/٣٣٤٢

ردمك : X-٦١-٧٥٩-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ

المقدمـــة

الحمد لله الذي هدانا لهذا. وماكنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله. والصلاة والسلام على النبي الأمي، حبيب الله ومجتباه ومصـطفاه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة وسلاماً دائمين متصلين ماتعاقب الليل والنهار، ومادعا إلى الحق المصطفَوْن الأخيار، وما اهتـــدى إليـــه الموفقون الأبرار.

أما بعـــد: فبين يديك أيها القارىء الكريم! كُتيِّب، أوضحت فيه حقـائق «الإسـلام، والإيمان، والإحسـان» وجعلتـه شرحـاً للحديث الشريف، الذي رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: «**بينما نحن عند رسول الله ـ ﷺ ـ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ـ ﷺ ـ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يامحمد! أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: الإسلام أن تشهـد أن لا إلـه إلا الله، وأن محمـداً رسـول الله، وتقيم**

الصـلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استـطعت إليـه سبيلا. قال: صدقت! قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله ومـلائكتـه وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت! قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ماالمسئول عنها بأعلم من السـائل. قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة رَبتها، وأن ترى الحُفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. ثم انطلق، فلبث مليًّا، ثم قَال لي: ياعمر، أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم»[1].

هذا. وقـد جعلتـه في صورة رسائل، ليكون أدعى إلى نشاط القارىء، وأدفع للملل والسآمة.

تصورت أنه كان لي ـ أيام طلب العلم بكلية الحقوق ـ زميل من أهل الكتاب حَبَّبتْ إليه دروسُ الشريعة الإسلامية الإسلامَ. فأقبل عليه يدرسه في شوق وشغف ولهفة. فلما أتم دراستـه، وفارق قاعات الدرس ضربت بيني وبينه الأيام؛ فأخذ يراسلني سائلا عما خفي عليه من أمور الدين. وكنت أجيب عن أسئلته في بسط وإسهاب، حتى وقف على حقيقة

(١) متفق عليه.

الإسـلام، فأعلن إسـلامـه، مضحياً بحقه في ميراث أبيه الغني، مؤثراً ميراث الآخرة على ميراث الدنيا. راغبا في دين يخلص بينـه وبـين ربه؛ ويمنحه الحرية كاملة في حدودها المـرسـومة، بعد أن تبين الرشدَ من الغي، ويعتقه من رق أولئك الذين يزعمون لأنفسهم السيطرة على قلوب الناس وعقائدهم.

ثم سافر إلى أمريكا، وأخذ يدعو هنالك إلى الإسلام، فهدى الله على يديه كثيراً ممن كتب لهم التوفيق، حين أدركوا يُسر الإسـلام وسـماحتـه وسموه. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

وماتوفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حسبي ونعم الوكيل.

أبو الوفاء محمد درويش

(١)
الإســلام العــام

أخي المهتدى!

أحمـد إليك الله الـذي لا إلـه إلا هو، الـواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

وأصلي وأسلم على رسوله الذي آمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولم يفرق بين أحد من رسله.

وبعـــد:

فقد تلقيت رسالتك الكريمة مغتبطاً مسروراً. فلقد أعادت إلى نفسي ذكرى أيامٍ أُعُدها ـ بحقّ ـ أسعد أيام العمر.

لاشك أنك تذكر أيام الجامعة، يوم كنا في كلية الحقوق، وكنت تعجب بدروس الشريعة الإسلامية، وتصغى إلى الأستاذ بكل قوى نفسـك، وتسأله فيما خفي عليك في تُؤدة وأدب وإكبار، وتصوغ أسئلتك صياغة لبقة دقيقة محرجة. ولو لا أن أستاذنا كان شديد العارضة، حاضر البديهة، غزير المادة، واسع الاطلاع، لكانت هذه الأسئلة تحيره وتُرْبكه، ولكنه كان يجيبك عنها إجابة تتهلل لها أساريرك، وتبدو على وجهك دلائل الرضا والاقتناع، وكان زملاؤك المسلمون يدهشون حين تحصل في امتحان الشريعة الإسلامية على

درجـاتٍ تنقـطع دونها آمالهم، وكان زملاؤك المسيحيون يتندرون بك، ويقـولون لك في دعاباتهم: أنت مسلم! ثم افترقنا على إثر ظفرنا بالإجازة (الليسانس) وضربت بيني وبينك الأيام، حتى حمل إليّ البريد أخيراً رسالتك الكريمة، تنبئني فيها بأنك أزمعت اعتناق الإسلام، ولو كلفك الحرمان من ميراثٍ مرموق، وتذكر أن ميراث الآخرة خير وأبقى، وأنك قد أحرزت بجدك ما أغناك عن الناس، وتطلب إليّ أن أزودك ـ زودك الله التقوى ـ بمعلوماتٍ تضيفها إلى ماتعرفه عن الإسلام، معلومات أوسع مما تلقيته في كلية الحقوق.

وهـآنـذا أبعث برسائلي إليك على صفحات البريد الإسلامي عسى أن ينتفع بها بعض القارئين، فإن المصباح الذي يضيء لفرد يمكن أن يستضيء به كثير.

****

ليس الإسلام ياأخي غريباً عن الأديان السماوية الأخرى، بل الإسـلام هو دين الله الأزلي الأبدي الخالد الذي أمسك بالحلقة الأولى من سلسلتـه آدم أبـو البشر، وبالحلقة الأخيرة محمد خاتم النبيين. فكل دين سماوي صحيح فهو إسلام، كما قال رب العزة سبحانه: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾. [آل عمران: ١٩].

فقد كان إبراهيم وإسحاق ويعقوب مسلمين، كما يشهد بذلك القرآن الكريم. قال ـ تعالى ـ: ﴿**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم**

بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ . [البقرة: ١٢٩ ـ ١٣٢].

وكذلك كان يعقوب وبنو يعقوب مسلمين، كما قال تعالى: **﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموتُ إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾** . [البقرة: ١٣٣].

ولقد حكى الله ـ تعالى ـ في القرآن الكريم ماقال يوسف بن يعقوب ـ عليهما السلام ـ حيث مكن الله له في الأرض. فقال: **﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليِّ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾** . [يوسف: ١٠١].

وكان نوح ـ عليه السلام ـ من قبل هؤلاء جميعاً مسلماً، ولقد أخبر الله ـ تعالى ـ عن خطابه لقومه. فقال: **﴿فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾** . [يونس: ٧٢].

وكان موسى وقومه الذين آمنوا معه مسلمين. قال ـ تعالى ـ: **﴿وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين * فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾** . [يونس: ٨٤ ـ ٨٥].

وكان عيسى والحواريون الذين آمنوا معه مسلمين، فاستمع إلى قول الله ـ تعالى ـ، وهو يبين لنا هذه الحقيقة أصدق بيان:

﴿فلما أحس عيسى منهم الكفـر قال من أنصـاري إلى الله قال الحـواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾. [آل عمران: ٥٢].

وإلى قولـه تعـالى: **﴿وإذ أوحيت إلى الحـواريـين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾**. [المائدة: ١١١].

فإذا اعتنق أهل الأديان الأخرى الإسلام لم يكونوا خارجين عن دينهم، ولا مجافين له، ولا كافرين بأنبيائهم، بل على النقيض من ذلك، يكونون عاملين بمقتضاه، موفين بعهد الله القديم، الذي أخذه على الأنبياء، في قوله ـ تعالى ـ: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتـاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾**. [آل عمران: ٨١].

وما الإسلام إلا أن تسلم الوجه إلى الله ـ تعالى ـ، وتخلص دينك له، وتعمل الخير، وتجتنب الشر، وتعتنق الفضائل، وتجافي الرذائل.

وكـل دين يدعو إلى غير ذلك فليس بدين. ولذلك يقول الله ـ سبحانه ـ: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**. [آل عمران: ٨٥].

الإسلام أيها العزيز، هو دين الإنسانية العام الخالد، وسيفترق النـاس مايفترقون. ويختلفون مايختلفون. ثم يجتمعون عليه حين تستنير بصائرهم، وترقى أذهانهم، وتسمو مداركهم، ويخلصون من

ربقة التعصب، والتقليد للآباء.

الإنسانية أيها العزيز في تدرجها نحو الكمال الإنساني، كالطفل في تدرجه نحو المؤهلات الدراسية العالية.

يدخل أولا: روضة الأطفال، أو الفصول التحضيرية، وله فيها معلمـوه. فإذا حذق هذا القسط الضئيل من العلم انتقـل إلى الدراسة الابتدائية، ولقي هناك معلمين غير السابقين، فإذا أحرز شهادتها انتقل إلى الدراسة الثانوية، فالعالية، وله في كل مرحلة معلمون: فالمعلمون يمثلون الأنبياء، والمراحل التعليمية تمثل تطور الإنسانية نحو الكمال، وكل مرحلة من هذه المراحل تتمم ماقبلها، ولايتسنى للطفل أن يلتحق بالجامعة، وهو لا يحسن القراءة والكتابة.

فجميع النبـوات والرسالات السابقة على رسالة محمد ـ ﷺ ـ كانت إعداداً، وتهيئة للجنس البشري لتلقي هذه الرسالة الكاملة، التي توائم الإنسانية الناضجة، التي بلغت ذروة الكمال البشري.

ولقد صور هذا المعنى رسول الله ـ ﷺ ـ أحسن تصوير وأروعه، في قوله الكريم، الذي رواه البخاري قال: «**إنما مثلي ومثل الأنبياء قبـلي، كمثـل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لَبِنة من زواية. فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون به، ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين**»[1].

ولعل فيما قدمت إليك أيها العزيز مايجلو عليك فكرة عامة عن الإسلام، ولعل هذه الكلمة تعيد إلى ذهنك ذكرى دروس الشريعة

(١) متفق عليه.

في كلية الحقوق، تلك الدروس التي كنت تحبها وتحرص عليها، وتمنحهـا كل عقلك ومشـاعـرك، ولعلهـا تعيد إلى ذهنك ذكرى اجتماعنا عقب الدروس، وما كان يدور بيننا من نقاش وحوار.

وإلى اللقاء القريب.

(٢)
الإســلام الخــاص

قواعـــد الشهادتان

أخي الحبيب:

أقر الله به عين الهداية، وأثلج صدر اليقين. سلام عليك.

وبعـــد: فلكَم وددت من كل قلبي أن يسافر البريد الإسلامي كل يوم لأمتع النفس، وأنقع الغُلَّة بمراسلتك، إذ حالت صروف الأيام دون مشاهدتك، والمراسلة نصف المشاهدة، كما يقولون.

حدثتك في رسالتي السابقة عن الإسلام حديثاً عامًّا، وأريد اليوم أن أحدثك حديثاً خاصًّا محدوداً، أو بتعبير أدق، حدثتك بالأمس عن الإسلام العام، الذي هو دين الأنبياء جميعاً. وأريد أن أحدثك اليوم عن الإسلام الخاص، الذي بعث به محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم خاتم النبيين، عليه أفضل الصلاة والسلام وأزكاهما. فألق بالك أيها العزيز! لما أقول. واجعله منك على ذكر.

للإسلام قواعد قام عليها بنيانه، وأسس ارتكزت فوقها أركانه، فإذا كانت هذه القواعد وتلك الأسس قوية متينة: سلم البناء، وإلا تصدع وتداعى، وانهارت جوانبه.

أمـا هـذه القواعـد، فخمـس: شهـادة أن لا إلـه إلا الله، وأن محمـداً رسـول الله، وإقـام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطـاع إليـه سبيلا.

ولأتناول هذه القواعد بشيء من البسط والبيان، فلقد عهدتك مولعاً بمبسوط القول، كلفاً بالإمعان في الشرح، مفتوناً بالإسهاب في التفصيل، لا لقصور في الفهم، ولا لعجز عن الإدراك، ولكن لأنـك ـ كما كنت تقول لي ـ تحب استيعاب الموضوع، والإحاطة بجميع أطرافه.

أما شهادة أن لا إله إلا الله، فمعناها: أن تقر وتعترف وتذعن، لا بلسانك فحسب. ولكن بلسانك وجنانك، وقلبك ووجدانك، أنه لا معبود بحق إلا الله.

والله سبحـانـه ليس كمثله شيء، وهو الأول الأزلي، والآخر السرمدي، لا يلحقه زوال، ولا يدركه فناء، وهو خالق كل شيء، وماسواه مخلوق حادث فانٍ.

و«الإلـه» كل ما اتُّخِـذ معبـوداً عند متخذه، والعبادة: الطاعة والخـضـوع مع اعتقـاد أن للمعبـود قوة غيبية وراء الأسبـاب والمسببات، يستطيع بها النفع والضر.

وقـد ركز الله الاعتراف بألوهيته، والإقرار بربوبيته، في نفوس الخلق جميعاً بمقتضى الفطرة. قال ـ تعالى ـ: ﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالـوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو**

تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾. [الأعراف: ١٧٢].

وإنما يصرف بعض الناس أحياناً عن عبادته مايرين على قلوبهم من الغفلة من اقتفاء آثار الآباء والأجداد.

فنحن حين نقـول: «لا إلـه إلا الله» نثبت ألـوهية هذا الإله المعـروف الذي شهدت بألوهيته الغرائز، وأقرت بربوبيته الطبائع والفطر. وننفي ألوهية كل شيء أيًّا مايكن، ولا نؤمن إلا بالله وحده.

وشيء آخر أهم من هذا، أحب أن أهمس به في أذنك، وهو أن الإنسـان لا يكـون مسلماً حقًّـا إلا إذا نطق بهذه العبارة بلسانه، واستيقنتها نفسه، وأكِلُ إلى فطنتك الحكم على مبلغ إسلام هؤلاء الـذين ينطقون بهذه العبارة. ثم لا يمرون بقبر من قبور الأولياء والصالحين، ولا يجتازون بقبة من هذه القباب المنصوبة، إلا وقفوا خاضعـين خاشعـين يلتمسون من الموتى قضاء الحاجات وجلب الخيرات، ودفع الملمات.

وهـذا ـ بغيـر شك ـ هـو التأليـه للموتـى، واتخاذهـم آلهـة مـن دون الله أو مـع الله.

ألا تعجب ياأخي لهذا الجهل المطبق؟! ألا تأخذك الدهشة لهذه الغفلة العميقة؟!

وإني أيهـا الأخ العزيز! لو كنت أكتب إليك وحدك لتماديت، ولكن قد يقع هذا البريد إلى من يؤثرون الإيجاز، ولا يحبون الإطالة

فلأقف عنـد هذا الحـد، ومـوعـدنـا الـبريد المقبل إن شاء الله.
وسـأحـدثـك عن توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، فإن الجهل بالفرق بينهما، أضر بعقائد خلق كثير.

وإلى اللقاء القريب إن شاء الله.

ودمت لأخيك.

(٣)
توحيد الألوهيـة

توحيد الربوبية

أخي الموفق :

رزقني الله وإياك طمأنينة اليقين، وثبت أقدامنا في مواطن الحق، وأنزل في قلوبنا سكينة المؤمنين.

وبعـــد: فقد وعدتك في رسالتي الأخيرة أن أوضح لك الفرق بين توحيد الـربـوبية، وتـوحيد الألـوهية، لتستجمع الفضل من أطـرافـه، وتثبت في قلبك كلتا الحسنيين، ولا أظنك مدركاً هذا الفرق حق الإدراك ـ على الرغم مما لمسته فيك من ذكاء متوقد ـ حتى تقف على مفهـوم كلمة «رب» وكلمة «إله» فإن لكل منهما مفهوماً خاصًّا، وإن صدقتا جميعاً على ذات الله تعالى.

فالرب معناه: الخالق الرازق الذي يربي العباد بفضله، ويهيئهم لما يبلغهم الكـمال الجسمي والعقـلي والروحي. لأن اشتقاقه من التربية، وهي إبلاغ الشيء حد الكمال اللائق.

وأما «الإله» فمعناه الذي يأله إليه الخلق، أي يفزعون إلى رحمته إذا حزبتهم الأمـور، وغشيتهم الكروب، ومسهم الضر، يدعونه تضرعا وخيفة، ليكشف عنهم مانزل بهم من مكروه، ويجلب إليهم

مازوي عنهم من محبوب؛ لأن اشتقاقه من «الأَلَه» أي الفزع، ولم يختلف المثبتون للربوبية في ربوبية الله تعالى، ولم يشركوا به أحداً فيها، ولكنهم اختلفوا وأشركوا في الألوهية.

والقرآن شاهد عدل على ذلك. قال ـ تعالى ـ : ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون**﴾. [العنكبوت: ٦١].

وقال عز من قائل: ﴿**ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون**﴾. [العنكبوت: ٦٣].

وقال تبارك اسمه: ﴿**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون**﴾. [الزخرف: ٨٧].

فترى أيها العزيز! من هذه النصوص أن هؤلاء المشركين كانوا لا يشركون في ربوبية الله تعالى، بل يعتقدون أنه هو وحده الخالق الرازق، وينسبون جميع مظاهر الربوبية من الخلق والرزق وتدبير الأمر إليه وحده سبحانه.

ولعلك أدركت الآن بثاقب فطنتك، وفياض ذكائك لماذا جعل الله شعار الإسلام: «لا إله إلا الله» ولم يجعله «لا رب إلا الله»؟ ذلك بأن أحداً من المثبتين لربوبية الله لم يشك في توحيد الربوبية له تعالى، ولكن الشك والريب والخلف والاضطراب والشرك وقعت في توحيد الألوهية؛ فإنك تجد الذين يؤمنون بوحدانية ربوبيته تعالى يفزعون إلى غيره، ويلتمسون الحاجات من سواه، ويدعون

المخلوقين العاجزين من الأحياء والموتى من قريب ومن بعيد، زاعمين أنهم يسمعونهم إذ يدعون، أو ينفعونهم أو يضرون. قال تعالى: ﴿**ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾. [يونس: ١٨].

وقال تعالى جده: ﴿**ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾. [الزمر: ٣].

فهاهم أولاء يقرون بوجود الله ـ كما ترى ـ ويؤمنون به ربًّا. ويتخذون إليه الشفعاء والوسطاء. وإنما كان شركهم باتخاذ هؤلاء الأولياء، وزعمهم أنهم بدعائهم وعبادتهم يقربونهم إلى الله، ويشفعون لهم عنده. ففزعهم إليهم، واستنجادهم بهم، أي إنكارهم توحيد الألوهية، هو الذي جعلهم مشركين.

وإن النفس لتحدثني: أنك فطنت إلى هذا القول الذي كان المشركون يقولون أشبه بما يقول الدهماء من المسلمين الآن، إذا دعوا الأولياء، ونذروا لهم، واستغاثوهم، واستعانوهم على قضاء حاجاتهم: إن أنفاسهم طاهرة، وإن أسرارهم حاضرة.

وإن الدهشة لتستحوذ عليك، وإن العجب ليبلغ منك، إذا علمت أن مشركة العرب كانوا إذا مسهم الضر، وحزبتهم الأمور ينسون أولياءهم وآلهتهم، ويفزعون إلى رحمة الله وحده، ولست أحاول خديعتك، أو التأثير في نفسك. فلست أكتب ذلك إلا ومعي الشاهد العدل الذي لا يمين.

فاستمع إلى قول الله الحق: ﴿**وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعـون إلا إيـاه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً**﴾. [الإسراء: ٦٧].

وإلى قولـه عز شأنـه: ﴿**وإذا غشيهم موج كالـظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور**﴾. [لقمان: ٣٢].

وإن جهلة المسلمين ـ إذا أصابهم مكروه ـ رفعوا عقائرهم هاتفين بأسماء الموتى المقبورين، الذين لا يستجيبون لهم إلى يوم القيامة، وهم عن دعائهم غافلون. وكأنهم لم يستمعوا إلى قول ربهم في روعة بلاغتـه وسمـو حكمتـه: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا**﴾. [الإسراء: ٥٦].

ولست أنسى ماكنت توجهه إليَّ من اعتراض وإنكار، حين كنت تشاهد منظراً من هذه المناظر المؤذية، مناظر شد الرحال إلى قبور الأولياء، مناظر المواكب التي يسيء بها بعض المسلمين إلى دينهم. فتقول لي: أوثنية هذه، أم إسلام؟!

وكنت أقـول لك: إن الإسلام برىء من كل هذا السخف. فكنت تبتسم في صمت. وما كان يخفى عليّ سر ابتسامتك.

وأراني بعـدت عن القصد، وجمح بي جواد القلم، فلأعد إلى ماكنت بسبيل القول فيه. فتوحيد الربوبية: أن تعتقد أنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر للأمر إلا الله.

وتوحيد الألوهية: أن تعتقد أنه لا يرفع الضر، ولا يجيب المضطر

إذا دعاه، ولا يكشف السوء، إلا الله.

ويقيني أنه قد استبان لك أن أحدهما لا يغني عن الآخر شيئاً، فالعرب كانوا يؤمنون بوحدانية الربوبية، ويعتقدون أنه ـ سبحانه ـ هو الخالق الرازق مدبر الأمر. بشهادة القرآن الكريم، وأنصت إلى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا * تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون**﴾. [يونس: ٣١ ـ ٣٢].

ولكنهم كانوا لا يؤمنون بوحدانية الألوهية فيدعون غيره، ويبتهلون إلى سواه. ولذلك عدهم الله مشركين، وأنذرهم خسران الدنيا والآخرة.

فلابد ـ لكي يحقق المسلم معنى التوحيد ـ من الجمع بين التوحيدين: توحيد الربوبية. وتوحيد الألوهية، باعتقاد أن الله ـ تعالى ـ هو الخالق الرازق مدبر الأمر، واعتقاد أنه لا مغيث إلا الله، ولا معين إلا الله، ولا التجاء إلا إليه، ولا يدعى أحد سواه.

وإلى هنا أحسب أني أمللتك بطول الكلام، فلأكبح جماح القلم، ولأقف عند هذا الحد، وإلى أن نلتقى في المرة المقبلة على صفحات البريد الإسلامي.

والسلام عليك ورحمة الله.

(٤)
محمد رسول الله

أخي الحبيب:

جنبـك الله الشبهـة، وعصمـك من الحـيرة، وأذاقـك حلاوة اليقين، وزودك التقوى، وأدام لك التوفيق.

وبعــد: فقد طال العهد بافتراق الشقيقين، وكنت أحب ألا يطول بينهما الفراق. ولكن خشية الإطالة والإملال. أبَتْ عليَّ إلا أن أقف حيث أفضى بي القول في رسالتي السابقة إليك.

وهـآنـذا أستـأنف الحـديث إليك اليوم، أشـوق ماأكـون إلى منـاجـاتـك، وأحرص ما أكون على أن أفضي إليك بما يختلج في صدري من المعاني التي لا شك في أنك تفتح صدرك لاستقبالها، وأنت تكرم مثواها في نفسك، بعد أن تتقبلها بأحسن قبول.

أستـانف الحديث إليك لأوضح لك الجانب الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام، ذلك الجانب الذي لا يقوم الركن الأول إلا بقيامه، ولا تتم إلا باستكماله. ذلك الجانب: هو شهادة «أن محمداً رسول الله» ـ ﷺ ـ.

وذلك: أن تقر بلسانك، وتعتقد بجنانك، وتضمر في قلبك: أن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم رسول الله، أرسله

الله الذي شهدت بوحدانيته، وآمنت بوجوده، كافة للناس بشيراً ونذيراً، ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

ومن لوازم هذه الشهادة: أن توقر ذلك الرسول وتطيعه في كل ماأمر به في حدود إمكانك، وأن تحبه أكثر مما تحب نفسك التي بين جنبيك، وأن تدافع عن دينه وسنته ماتيسر لك الدفاع، وأن تذيع هذا الـدين مااستطعت إلى إذاعته سبيلاً، ومن لوازمها: ألا تؤثر قول أحد في الدين على قوله، وألا تترك قوله لقول أحد، وأن تجعل قولـه فوق كل قول، ونصحـه فوق كل نصـح، وهديه فوق كل هدي، وألا تترك ماجاء به من البينات والهدى لهوى نفسك، أو هوى أحـد من النـاس، أو للاستمسـاك بالعـادات الموروثة، أو للاحتفاظ بما وجدت عليه أباك وقومك.

فإذا اعتقدت اعتقاداً جازماً يملأ قلبك، ويسيطر على نفسك، ويهيمن على عواطفك ومشاعرك: أن محمداً رسول الله، كان من لوازم ذلك الاعتقاد: أن تجعله إمامك وقدوتك، وأن تأتسي به في أعماله الرسالية، وتصرفاته البشر ية جميعاً.

إذ مما تقضي به بدائة العقول: أن رب العزة تبارك اسمه، وهو الحكيم العليم، لا يختار لرسالته إلا أكمل البشر، وأطيبهم نفساً، وأرقاهم عقلا، وأسماهم فكراً، وأطهرهم عاطفة، وأحسنهم خلقاً، وأمضـاهم عزمـاً. وأحـدَّهم ذكـاء، وأشجعهم قلباً، وأصدقهم حكماً، وأقواهم إرادة، وأشدهم بالفضيلة استمساكاً، وأكثرهم من

الرذيلة نفوراً، حتى يكون إماماً للناس، وقدوة صالحة لأمته، وأسوة حسنة للمؤمنين به.

فما ظنك برسول هو خاتم المرسلين، وآخر من بعث إلى الناس من النبيين، لا يأتى بعده نبي ولا رسول حتى تقوم الساعة، ويبعث من في القبور.

لم يختره ـ سبحانه ـ من بين الناس مصادفة، ولم يصطفه من البشر اتفاقاً، ولكنه ـ تعالى ـ أراد في الأزل أن يرسل في آخر الزمان إلى الإنسانية حين تبلغ أشدها، وتدرك أسمى ماقدر لها من الرقى ـ رسولا يوائم هذه الإنسانية الراقية، ويكون أكثر الأنبياء والمرسلين تابعاً، وتكون رسالته أطول الرسالات زماناً، وأدومها بقاءً، وأوسعها انتشاراً، وأكثرها تغلغلا في الشعوب والقبائل، وتسلسلا في القرون والأجيال والألسنة والألوان. ولا جرم أن ذلك يقتضي أن يبلغ الرسول الذي هذه رسالته من الكمال حدًّا لا يتسنى لإنسان بعده، مهما ترتق عقول الناس ومداركهم، وتسم أخلاقهم وطباعهم: أن يدرك فيه ناحية نقص، أو يلمح ظلا لشيء ينافي الكمال.

من أجل ذلك، أعد الله ـ تعالى ـ نبيه محمداً ـ ﷺ ـ لهذه الرسالة. منذ قال للملائكة: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾. [البقرة: ٣٠]. وأعد له الأصلاب الطاهرة، والأرحام النقية. وماحملت أم بأب من آبائه، أو جد من أجداده، إلا في أعدل الأوقات، وفي أحسن الأحوال النفسية والعقلية وعلى إثر خير

الأغذية وأطيبها، وأطهر الأشربة وأعذبها، ولم تُجد الأرحام بواحد منهم إلا بعـد أن أنضجتـه، ووفتـه حقـه من تمام الخلق، وكمال التكوين. ولم ينقسم بنو آدم فرقتين، إلا كان في خيرهما وأطهرهما، حتى وضعته أمه في أتم خلق وأكمله.

لهذا لا ينبغي أن تعتقد أن عالماً من علماء البشر، أو فيلسوفاً من فلاسفتهم، أو حكيماً من حكمائهم، أو عظيماً من عظمائهم، أتى أو يأتي بتشريع أرقى من شريعته، أو وضع أو يضع مبدأ أسمى من مبادئه.

ولا يتم إيمان امرىء إلا إذا قدم رأى الرسول على رأيه، وشريعته على هواه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**».

وأراني قد أطلت وأمللت، ولكني عهـدتـك محبًّا لهذا الرسول الكريم، معجباً بصفاته وشمائله، مكبراً لهديه وإرشاده، حتى قبل أن تزحزح النقاب عن وجه عقيدتك، وذلك ماحببك إليَّ، ودفعني إلى صداقتك دفعاً لا هوادة فيه.

وأنت عليم بأنه لا شيء يجمع بين القلبين، مثل ارتباطهما بعقيدة واحدة، واتفاقهما في عاطفة واحدة، وتشابههما في المشاعر والأحاسيس.

أصـافحك ـ أيها الصديق ـ على البعد، واستودع الله دينك، وأمانتك وخواتيم أعمالك، ولك التحيات المباركات.

(٥)
إقـــام الصـــلاة

صديقي الحبيب:

أعانك الله على ذكره وشكره وحسن عبادته.

وبعـــد: فقد أوضحت لك في رسائلي السابقة الركن الأول من أركـان الإسـلام، وأرجو أن يكون ماكتبته إليك على ذكر منك، ولست أخفي عليك أني كلما كتبت إليك استعـدت ذكرى الأيام الخوالي، أيام الدراسة التي هي بلا ريب أطيب أيام العمر، وأسعد مراحـل الحياة، وإني كلما عصف بقلبي الشوق إلى لقائك عذت بقلمي، ووجدت في ظله من برد الراحة مايفثأ لواعج الحنين التي تعتلج في صدري، وقد أتاحت لي الأقدار هذا الموضوع الذي يطّرد ويتسلسل، ويأخذ بعضه بحجُز بعض حتى أجد في تفصيله حجة أتذرع بها إلى الإلحاح في الكتابة إليك.

أعود اليوم لأوضح لك الركن الثاني من أركان الإسلام، ويقيني أنه غير خاف عليك، وهو:

إقامـة الصـــلاة!

والإسلام ـ كما تعلم ـ يعتبر الصلاة عماد الدين. فمن أقامها فقد أقامه، ومن هدمها فقد هدمه.

أتـذكـر أيها الحبيب، حين كنت تفيض في حديث الصلاة في الإسلام، وتوازن بينها وبين صلوات الملل الأخرى، ثم تقول: إن الصلاة في الملل الأخرى رياضة روحية بحتة، ولكنها في الإسلام قد جمعت بين الحسنيين، فهي رياضـة للروح والبدن معا: فرفع اليدين عند الإحرام، وعند الركوع والرفع منه، والركوع والسجود كلهـا رياضـة للبدن تكسب أعضاءه قوة ومرونة، والسلام نفسه ـ حين يتجـه المصـلى عنـد الخـروج من الصلاة إلى يمينه ويساره مسلِّما ـ رياضة لعضلات العنق، وتنبيه للغدة الدرقية الصماء التي هي ينبوع النشاط البدني كله.

ولعلك تذكـر أنـك طالما كنت تثير إعجابي بنظراتك البعيدة، ونقـداتـك الـلاذعة، حين كنت تسخر بعامة المسلمين، وبعض خاصتهم حين يقـومـون في الصلاة، فيقولون مخاطبين رب العزة ـ سبحانه ـ: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ ثم لا يكادون ينفلتون من صلاتهم، ويبرحـون مجالسهم، حتى يولـوا وجـوههم شطر الأضرحة الملصقة بالمساجد، يطوفون من حولها، ويتمسحون بها، ويناجون رفات ساكنيها، يطلبون إليها حاجاتهم، ويستدفعون بها مايكرهون من الأمر.

والذي كنت أعجب له أشد العجب، ويسرني عظيم السرور: أنك كنت تفهم أن صنيع هؤلاء الناس ليس من الإسلام في شيء، ولا يمت إليه بصلة. ولم تكن تنسبه إلى الإسلام ثم تعيبه عليه، كما يفعل أكثر الذين لا يدينون بالإسلام. وكنت ترد على هؤلاء الذين

يزعمون أنهم يناجون أرواح الأولياء لا أجسامهم، ويقولون: إنهم أحياء عند ربهم يرزقون. وكانت قوة حجتك تستأثر بكل إعجابي، حين كنت تقول: مهما تكن أرواحهم من الحياة والقوة، فليست آلهة تعبـد، ولا يصح أن يتجه المسلم إلى غير ربه. كما كان يدهشني أعظم الإدهاش استدلالك بقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**أليس الله بكاف عبده**﴾ وأقول في نفسي: عجبا!

كيف اهتدى إلى هذه الآية، وهو لا يدين بالإسلام، ولا يقرأ القرآن على حين لا يذكرها الذين يحسبون أنفسهم على الإسلام؟

عفواً أيها الصديق عن نزوات هذا القلم الجموح، الذي لم أكد أرخى له الزمام حتى يتقحم بي في مفاوز ماكنت أحب أن أقتحمها. فلأثن عنانه إلى قصد السبيل. ولأعد إلى ماكنت بسبيل القول فيه، وهو إقامة الصلاة.

إقامة الصلاة! أتلقى بالك؟

إنك لا تتلو آية من آيات الكتاب الكريم، التي تدعو إلى الصلاة فتجدها تقول: صلوا! بل تقول: أقيموا الصلاة!

فالإسـلام أيهـا العـزيز يأمـرنا بإقامة الصلاة، أو بأداء صلاة مقامة. والصلاة المقامة: هي التي تصدر عن باعثها، وتؤتي ثمرتها.

أما باعثها: فشعور المؤمن بضعفه وعجزه وحاجته إلى فضل الله ورحمتـه وعونه، ثم إحساسه بتوالي نعم الله عليه، وترادف فضله إليه، ومـايتـطلبه ذلك من الحمد للمنعم، والثناء على الوهاب، والشكر للمتفضل، فيدفعه هذا الإحساس، ويحمله ذلك الشعور:

على أن يقوم بين يدي ربه خاضعا خاشعا، ضارعاً ذليلا، خائفاً راجياً، مبتهلاً منيباً، حامداً شاكراً.

فإذا قام هذا المقـام، وشعر بعظمة الله وكبريائه، أحسن أداء الصلاة ورتل القراءة وأطالها، وعَدَّل الأركان واطمأن فيها، ووجد في الصلاة قرة عينه، ومسرة قلبه، وحياة روحه، فحرص على أدائها في ميقاتها، بعد إسباغ الوضوء لها، وتحصيل شرائط صحتها وكمالها.

وأما ثمرتها: فالسمو بالنفس فوق شهوات العاجلة، والانتصار على مضلات الفتن، ومغويات الأهواء، والتحرر من رق الرذيلة، ومصداق هذا: قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر**﴾. [العنكبوت: ٤٥].

وقـول الله تعالى: ﴿**إن الإنسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعـا * وإذا مسـه الخير منوعا إلا المصلين * الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾. [المعارج: ١٩ ـ ٢٣].

أجل، أيها العزيز، إن الصلاة تملأ النفس قوة وشجاعة وعزة. وحسبك مايشعر به المصلي وهو يقول: الله أكبر!

وقد شبه الرسول الأمين ـ عليه الصلاة والسلام ـ الصلاة بينبوع عذب صاف يكـون أمـام باب المـرء، يغتسل منه في اليوم خمس مرات. ثم سأل صحابته الكرام «**هل ترون شيئاً يبقى من درنه بعد ذلـك؟**»[1] فما كان جوابهم إلا قالوا: «لا يبقى من درنه شيء» فأخبرهـم

(١) متفق عليه.

ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأن ذلك مثل الصلوات الخمس يطهر الله بهن العبد من أدران الخطايا. ومن أجل ذلك كانت إقامة الصلاة من أقوى دعائم الإسلام وأشد أركانه.

ولعلك تدرك بعد ماأسلفت لك: أين مكان تارك الصلاة من الإسـلام، وعسى أن تكـون قد أدركت السر في قول الـرسـول ـ ﷺ ـ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»(١) وقوله ـ ﷺ ـ: «**كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج**»(٢) أي ناقصة.

ذلك: بأن في المراقبة التي أشرت إليها حفظاً للروح من دنس الرذائل، وفي قراءة الفاتحة: إبقاء على التوحيد الذي تُذكر به الآية الكريمة. ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾.

ففي الصلاة طهارة النفس من دنس الرذيلة، وطهارة القلب من رجس الشرك المحبط لصالح الأعمال.

وهنا خطر لي اعتراض، كان زملاؤنا من غير المسلمين يوردونه على صلاتنا، ويقولون: إن في الصلاة عند أصحاب الملل الأخرى حرية أكثر مما في صلاة المسلمين. فإن أهل الملل يدعون في صلاتهم بما شاءوا غير مقيدين بقراءة خاصة، ولا بسورة معينة، كما يتقيد المسلمون بقراءة الفاتحة.

وجوابي عن هذا الاعتراض: أن صلاتنا قيدت بقراءة الفاتحة،

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أحمد في المسند والبيهقي في السنن وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٥٣٥).

لأن فيها تذكيراً بالتوحيد، وهو أساس الإيمان، فإن لم يجعله الإنسان على ذكر منه تفلت منه سريعا، لأن الشيطان رابض للانساني في كل مكـان، يغـريه بالشرك، ويزينـه في قلبـه. فينقـاد إليه بأوهن الأسباب، ولأن فيها تعليما للابتهال إلى الله تعالى، والدعاء بأسمى ماتصبـوا إليه النفس وهـو الهـداية إلى الصراط المستقيم، وإذا استجيب للإنسان هذا الدعاء، فلا عليه مافاته من المطالب بعده.

وفي الصلاة مواضع تركت فيها للمؤمن حريته. فيدعو بما طاب له. وذلك في أثناء السجود، وأعقاب الصلاة. والرسول - ﷺ - يقول: «**أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد**»(١)

على أن يكـون ساميا في مطالبـه، فإن الله يحب معالى الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها.

وإليك في الختام تحايا أخ مشتاق. يقاسي لوعة البعد عنك. ويود من كل قلبه لو أتاحت له الأقدار فرحة اللقيا. والسلام عليك ورحمة الله.

---

(١) أخرجه أبوداود رقم (٨٧٥) وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٨١٩).

(٦)
إيتـــاء الزكـــاة

صديقي الكريم:

كم وددت أن تطوى بيننـا هذه المسافات. وأن تتاح لنا فرصة اللقيا، وحلاوة النجوى، بعد طول أمد البين، وتراخي مدة الفراق.

عشرون عامـاً انقضت منذ غادرنا مقاعد الجامعة، وإنه لزمن طويل جدًّا في عمر الأفراد. لم نلتق في خلالها مرة واحدة، وماكنا من قبل نصبر على فراق يوم واحد، فما أعجب تقلبات الأيام! وما أغرب تصاريف الأقدار!.

لم يبق لنا من مباهج الصداقة إلا هذه الرسائل التي نتبادلها من حين إلى حين، وهي ـ لعمر الحق ـ تهيج الشوق، وتبعث الذكرى، وتوقظ الحنين.

كانت رسالتي السابقة إليك في الصلاة، واليوم أكتب في الركن الثـالث من أركان الإسلام وهو الزكاة، وحين شرعت في الكتابة إليك ذكرت حماستك المشبوبة يوم كنت توازن بين فرض الزكاة في الإسلام وفي غيره من الأديان، ذكرت ذلك الموقف الحماسي الرائع الـذي وقفتـه في إحـدى ردهات الكلية، وأخذت تتكلم في حمية

وطلاقة، وكأنك أستاذ مخلص لعلمه، يلقي محاضرته على طلابه، في تدفق اغتاظ له بعض الزملاء، وأضمروا لك حسداً لاح دخانه على صفحات وجوههم، وبدا كامنه في نبرات ألفاظهم، وفيما كالوا لك من التهم، ومارموك به من سيئات الظنون.

أذكر أنك قلت يومئذ: إن الزكاة في الإسلام فرض عملي معقول يطيقه المكلفون، ولا يتبرمون به، ولا يشق عليهم أداؤه. فإن جزءاً من أربعين جزءاً من الثروة التي حال عليها الحول ليس بالعبء الثقيل، ولا الإصر الباهظ، وأما العشر الكامل الذي تفرضه بعض الأديان. فليس عمليًّا ولا معقولا في عصر الشريعة الإسلامية، وإن كان معقولاً في عصور تلك الشرائع، لملاءمته لظرف تشريعها، إذ كيف تطيب نفس الإنسان عن عشر ثروته بالغة مابلغت، ليسلم نفسه إلى الفقر والإفلاس بعد عشر سنين؟

ومن أجل ذلك: كان من النادر الذي لا حكم له في ظل تلك الشرائع المنسوخة، أن ينهض بأداء الزكاة غني من الأغنياء، لأنه يوقن أن العشر يبهظه، وأن أقل من العشر لا يعتد به، ولا ينجيه من إثم منع الزكاة.

كان ذلك التشريع معقولاً في العصور التي شرع فيها، يوم كانت الخيرات والثروة التي تغلها أكثر مما يحتاج إليه الناس، حتى لقد كانت الشريعة تقضى على من يريد أن يتبرع بشيء أن يجعله قرباناً تأكله النار.

أجل أيها الصديق الكريم، إن النظام الذي وضعه الإسلام خير

نظام رأته الدنيا، وأعدل ماظهر في الوجود من حكم وتشريع، ولقد عنى الإسلام بالزكاة عناية لا تعدلها عناية، ولو أنك تتبعت آيات الـزكـاة والصدقة والإنفاق والبر في القرآن الكريم لخيل إليك أن القـرآن لم ينـزل إلا ليعلم النـاس فضيلة البر والسخاء والإيثار، ويطهرهم من البخل والشح والأثرة.

دعا الإسلام إلى البذل دعوة لا هوادة فيها، وشن على الفقر حرباً ضروساً، انتصر فيها عليه انتصاراً رائعاً عزيزاً، حتى لقد مر على المسلمـين عصر من عصورهم الذهبية السعيدة. كان المسلم فيه يحمل زكاته على يده، ويمر بها على من اعتاد أن يمنحهم برَّه وعونه، فيرفضـونها في أمانة وعزة وإباء، ويقولون: لو أتيت بها قبل اليوم لقبلناها، أما اليوم فقد أغنانا الله من فضله؛ وبذلك اختفى شبح الفقر المروع من الديار الإسلامية في ذلك العصر اختفاء لم تسعد بمثله أمة من الأمم.

ترى، هل تنعم الدنيا بعصر كذلك العصر؟.

وهل تعود للمسلمين تلك الروح البرّة المؤثرة المعوان؟ وهل يسعد الأنام بنظام كهذا النظام؟.

لقـد حاول المصلحـون؛ وأصحـاب المـذاهب الاقتصـادية والاجتماعية في عصور كثيرة أن يضعوا للناس أنظمة تسعدهم، فما أفلحوا ومانجحوا، وإنما باءوا بصفقة المغبون.

وأنت إذا تتبعت الأنظمة التي وضعها المصلحون لإسعاد أممهم، وإزاحة بواعث الشكوى؛ وإزالة أسباب التبرم، لم تجد أصلح ولا

أعـدل ولا أنفـع من النـظم التي تكـون مقتبسـة من التشريع الإسلامي، تلك التي يسود فيها روح التضامن والتكافل، وتملكها فكرة التعاون والإيثار.

أتذكر أيها العزيز يوم نهض بعض الطلاب يعترض على أستاذ الشريعة، لأنه قرر أن الأموال المدخرة يجب أن تزكى في كل سنة، فقـال الـطالب: إذاً تنفـد هذه الأموال، وتأكلها الزكاة، فأجابه الأستاذ بقول الله تعالى: ﴿**ومأأنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**﴾ وقول النبي ـ ﷺ ـ: «**مانقصت زكاة من مال**»(١).

وكان لك على السؤال والجواب تعقيب طريف، إذ قلت: وأي ضرر في نفاد هذه الثروة؟ لقد ضحى فرد واحد في سبيل أربعين، فإن الثروة التي خرجت من بين يديه انتفع بها أربعون شخصاً، بل أربعـون أسرة، انتقلت من العسرة والمسغبة إلى الرخاء والميسرة، ومن الخير أن تفنى هذه الثروة الجامدة الساكنة التي لا تتحرك في مشروع صناعي، ولا زراعي ولا اقتصادي، ولا ينتفع بها أحد عن طريق إشغال الأيدي العاطلة والرءوس الفارغة، والأبدان المتبطلة.

ويقيني أن أصحاب الثروات الجامدة الساكنة التي لا تستثمر إذا رأوا أموالهم في طريقها إلى الفناء، وأن الزكاة أوشكت أن تأكلها، وتأتي عليها، أخرجوها من سكونها، وحركوها بعد جمودها، وألقوا بها في أحضان المشروعات الاقتصادية المثمرة من صناعة وتجارة،

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي بلفظ [مانقصت صدقة من مال].

وزارعة، فتنمو وتزداد، ويتحقق قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**﴾.

ولقد أعجبتني كلمتك الحكيمة ـ أيها الأستاذ الحكيم ـ يوم كنا نتكلم في شأن أعداء الإنسانية الُّلد، وهي الفقر والجهل والمرض، إذ قلت: لو أن الأغنياء أولي الثـروات الـواسعـة، والأمـلاك الشاسعة، والعمائر الضخمة، أدوا زكاة أموالهم لاستطعنا أن نهزم أولئك الأعداء، وأن نجلى أشباحها البغيضة المروّعة عن بلادنا العزيزة.

أليس الفقر على رأس تلك الأعداء؟.

ولو أننا استطعنا أن نهزم الفقر بسلاح الزكاة لاستطعنا أن نهزمها جميعاً.

أطلت عليك أيهـا الصديق، وأسرفت في الإطالة، ولا أظنني أتيتك بشيء تجهله.

إذ كان أكثـر كتـابي هذا ترديداً لألفـاظك الحكمية، وكلماتك الطيبة، ولقد كنت تنتظر مني أن أزيدك علماً بأصول الدين الذي عشقته، وضحيت بالكثير في سبيله، فعفواً إن وجدت رسالتي هذه المرة خلوًّا مما كنت تقدر.

وإلى اللقاء في الرسالة المقبلة إن شاء الله.

(٧)
الصيـــام

أخـي الحبيـب:

أقر الله بك عين الفضيلة، وأثلج صدر التقى، وجعلك قدوة للمهتدين، وإماماً للسالكين، وأدام هدايتك وتوفيقك، ويسر إلى الخير والبر طريقك.

سلام عليكم:

وبعـد: فقد كانت الزكاة هي القطب الذي دارت حوله رسالتي السابقة إليك، وأرجو أن تكون قد نالت الرضا منك، وحسن القبول عندك، وكشفت لك من محاسن الإسلام عن آفاق جديدة، لم تكن عين بصيرتك قد تفتحت عليها من قبل، فازددت بالإسلام إعجاباً، وله حبًّا، وبه تعلقاً واستمساكاً.

لم أتلق منك ردًّا على رسالتي السابقة، ولم أعهد فيك هذا الصمت الطويل قبل اليوم، ولعل سفرك إلى أمريكا للاشتراك في مؤتمر الأديان، وتفرغك لإعداد الكلمة التي أزمعت أن تلقيها على المؤتمرين هنالك ـ هو الذي حال بينك وبين الكتابة إليّ. فأنا أبسط عذرك، وأتمنى لك التوفيق في هذه المهمة السامية، ولعلك ـ بما أوتيت من سحر البيان، وذلاقة اللسان ـ تستطيع أن تضم إلى

حظيرة الإسـلام فريقـاً من هؤلاء الذين سيستمعون إليك، فقد عهـدتـك لبقـاً في بسط الحقـائق، وتقـريبها إلى الأذهان، قوي العـارضـة في الإدلاء بالحجـة والـبرهـان، حاضر البـديهة في رد الاعتراض، ودحض البهتان.

وإذا وقف القوم على حقيقة الإسلام، وأدركوا سماحته ويسره، ومسايرته للفطرة، ومواءمته للعقل، وتمشيه مع تطور الزمان، فإنهم سيسارعون إلى اعتناقه، والإلقاء بأنفسهم في أحضانه، للخلاص من الآصار التي حملها عليهم رجال الأديان.

وأراني قد بعدت عن الهدف الذي أرمى إليه بكتابي إليك فعفواً، فإنه جموح القلم الذي لا أملك له مردًّا.

أكتب إليك في «الصيام» وهو الركن الرابع من أركان الإسلام، وأنت خبير بأن الصيام هو الكف عن تلبية حاجة الذات والجنس من طلوع الفجر الصادق إلى المغرب، امتثالاً لأمر الله، واحتساباً لحسن المثوبة عنده.

والغرض الذي يرمي إليه الشارع الحكيم من فرض الصيام: هو تقـوية الإرادة، وتـربية التقوى ومراقبة الله، وإشعار المكلف بألم الجوع ليعرف نعمة الله الذي أطعمه، وينهض بشكر هذه النعمة، بإطعام المساكين الذين لا يجدون ماينفقون.

إن غريزتي المحـافـظة على الـذات، وتخليد النوع، هما أقوى الغـرائـز، وأشـدهـا سيطرة على الإنسـان، وحفـزاً له إلى إرضاء مطالبهـما، وإشبـاع رغباتهما. فإذا استطاع الإنسان أن يخرج من

قبضتهما، ويهيمن عليهما لم تستطع غريزة أخرى أن تغلبه أو تسيطر عليه.

وإذا استطاع الإنسان ـ بفضل الصوم ومايضفيه عليه من قوة في الإرادة، ومضاء في العزيمة ـ أن يستغني عن المباحات الضرورية اللازمة لحفظ ذاته وبقاء نوعه، فكيف لا يستغني عن المحرمات التي تضر جسمه وتفسد عقله مع استغنائه عنها، وعدم حاجته إليها.

فالصوم أنجع دواء لعلاج الإرادة الضعيفة، والعزيمة المتخاذلة.

ومن أجل ذلك نجد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يشير به على الشباب الذين لا يملكون نفقة الزواج، ولا يستطيعون إليه سبيلاً، فيقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**يامعشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أحصن للفرج، وأغض للبصر، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**»[1]

ومعنى كونه وجاء: أنه يقطع نزوات الشهوة، ونزغات الفتنة، لأن دوام مراقبة الله تعالى يورث الحياء منه، والحياء من الله ـ تعالى ـ خير عاصم من مضلات الفتن، ومغريات الشهوات. والصوم مراقبة كله، لأنه سر بين العبد وربه. ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**الصوم جُنة**»[2] أي وقاية من الشرور والآثام، فإن الصائم في أثناء صومه يشتبه بالملائكة الذين لا يأكلون ولا

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

يشربون، ولا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون.

لقد مر بخاطري في هذه اللحظة التي أكتب إليك فيها لمحة من لمحـاتـك، أو نقدة من نقداتك، حين كنت تأخذ على المسلمين إسرافهم في الإنفاق في رمضان، وتقول: إنهم ينفقون في رمضان مايدخـرونـه طوال العام، كأن رمضان موسم طعام وشراب، لا موسم عبادة وخشوع وتدريب للروح على التقوى والإحسان.

لقد كنت على حق حين كنت تنحي باللائمة على هؤلاء الذين لا يكرمون رمضان حين ينزل بهم ضيفاً كريماً إلا بالطعام والشراب والإسراف في ألـوان الـطعـام من شواء وحنيذ، وحلوى وفطائر، وكوامخ وشطائر.

إن شهر رمضان عيد ميلاد الدعوة الإسلامية. إذ هو الذي أنزل فيه القرآن، هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان. وقد أراد رب العزة ـ جل ثناؤه ـ أن يعلمنا كيف نحتفل بهذا العيد. ففرض علينا أن نلقاه بلون من العبادة يوائم شرف هذا العيد وكرامته. وهو الصوم الذي تتزكى به النفوس. وتتسامى الأرواح، ويضعف شأن المـادة، وتهـزم الشهوات، وتقوى العزائم والإرادات، فتقبل على العبادات والطاعات، وتكثر من البر والصدقات، لا من الإفراط في اللذات، وإرضاء الشهوات.

وقد علمنا الرسول الكريم ـ ﷺ ـ أن نجعل نُصب أعيننا في يوم الصـوم طلب الكـمال الخلقي، والتـماس السمـو الروحي، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يصخب**

ولا يرفث، فإن سابّه أحد، أو قاتله فليقل: إني صائم»[1].

أي إن الصوم يحول بين المسلم وبين مجاراة السفهاء والمعتدين في سفههم وعدوانهم.

وإذا اعتاد الإنسان الاستمساك بالفضيلة شهراً كاملاً أصبحت الفضيلة ـ لو أراد ـ خلقاً لازماً له، وطبعاً غالباً عليه.

وأراني قد أطلت عليك أيها الصديق الكريم، وأنت امرؤ لوذعيّ تكفيك الكلمة عن الكلمات، وتغنيك اللمحة عن اللمحات، فلأقف عند هذا الحد. وموعدي معك الرسالة المقبلة إن شاء الله.

واستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك. والسلام عليك ورحمة الله.

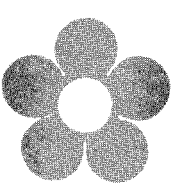

(٨)
الحـــج

أخـي الحبيـب:

سلام عليكم، وتحية لكم.

تسـألني ـ أعـزك الله ـ عن الحـج وحكمتـه وأسرار مناسكه؟ وتقول: إنك تنوي فريضة الحج، ولكنك لن تؤديها إلا إذا وقفت على أسرارها، وفقهت حقيقة أهدافها، حتى لا تكون كالقرد الذي يقلد حركات الإنسان، وهو لا يدري ماالمراد بها، أو كالببغاء التي تردد كلمات المتكلم، وهي لا تفقه لها معنى. وسأجيبك عما سألت على قدر مايتسع له ذهني الكليل، وعلمي القليل. فألق إليَّ بالك، وأعـرني ـ رعـاك الله ـ سمعك، وسل الله أن يهديني وإياك سواء السبيل. وأن يجمعنا في رحاب بيته المحرم، ويرزقنا حجًّا مبروراً، نستوجب به منازل الكرامة في دار النعيم.

«الحج» هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو عبادة تجمع عبادات، وقربة تضم قربات، هو سلسلة محكمة الحلقات، تربط شريعـة خاتم النبيين بشريعة أبيه إبراهيم، ولوحة تمثل في أذهان الآخرين، ذكريات الأولين.

لما رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، أمره الله ـ تعالى ـ

أن يؤذن في الناس بالحج ليأتوه رجالا، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، وليشهـدوا منـافـع لهم، ويذكـروا اسم الله في أيام معلومات، على مارزقهم من بهيمة الأنعام. فصدع إبراهيم بما أمر، واستجـاب الناس لدعوته. ثم انتقل إبراهيم إلى الرفيق الأعلى، ولحق به إسماعيل، وطال الأمد، وبعد عهد الناس بالعلم والدين الصحيح، فأحدثوا في الدين أموراً شوهت جماله، وابتدعوا بدعاً ذهبت بروعتـه، وفشت في الأمـة العربية جاهلية غفول، وغفلة جاهلة، ألقت على وجه الحق نقاباً كثيفاً حجب إشراقه، وغطى ضياءه.

وجاء الإسلام لينقذ البشرية من ضلالها، وينتشل الأمة العربية من أوحالها، فأقر فريضة الحج، بعد أن نفى عنها بدع الجاهلية ومحدثاتها وأوجبها نقية خالية من الشوائب، خالصة من اللوثات.

وأمر الله محمداً ـ ﷺ ـ بمـا أمر به إبراهيم من قبل، وأوجب على أمته حج البيت من استطاع إليه سبيلا.

الحج فرار إلى الله، واعتصام به، وانصراف إلى حين عن حظوظ الدنيا، وفتن الشيطان.

ألم تر إلى الرجل إذا طارده الأعداء، وضاقت في وجهه السبل. كيف يفـر إلى مليكـه، يطوف بقصره، ويلوذ ببابه، ليصرف عنه السوء؛ ويجيره من أذى العدو؟

كذلـك المؤمن إذا حزبتـه الأمور، أو عصفت به الشرور، أو احتوشته شياطين الفتنة، فر إلى بيت الله حيث يجد في هذا الحمى

الأمين راحة لنفسه، وعزاء لقلبه، وأنساً بربه، وقوة تعينه على عدوه.

تبدأ أعمال الحج ـ أيها العزيز ـ بالإحرام، وهو نية الحج مع ذكر الله تعالى، فيقول الحاج: اللهم إني أردت الحج ونويته لوجهك الكريم فيسره لي، وتقبله مني. ويسبق ذلك تجرد من الثياب المخيطة، وغسل يطهر به ظاهر الجسد، وتوبة تطهر بها الروح، وارتداء لإزار ورداء محيطين غير مخيطين.

وهذا التجرد رمز للتخلى عن الدنيا، وشهواتها ولذاتها، وفتونها. والتأهب للآخرة، والتخفف للسير في طريقها. كما أنه يذكره بالموت والغسل والكفن، فيدفع الإنسان إلى الزهد في العاجلة، والعمل للآخرة التي هي الحياة الحق، لا نهاية لها ولا انقضاء.

والتلبية هي الأنشودة القدسية التي تسمو بالنفس إلى عالم القدس، وتعرج بها إلى الملأ الأعلى، حين يهتف الإنسان من كل قلبه «**لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك**»[1] هذه التلبية تدل على أن العبد لبى دعوة مولاه، حين دعاه لزيارة بيته الكريم، ومنحه زاد السفر، والقدرة عليه، كما تدل على أنه أخلص له في سره وعلنه، ولم يجعل له في طوايا قلبه شريكا من مال ولا ولد، ولا أهل ولا وطن، ولا من سادة وكبراء، ولا من شياطين الأرض ولا ملائكة السماء، كما تفيد أنه يعتقد أن النعمة التي أسبغت عليه ليست إلا منه وحده لا

(١) متفق عليه.

شريك له، وأنه المحمود عليها دون سواه، وعلى أن العبد من أجل ذلك يترك وراءه ماله وولده ووطنه وزراعته، أو تجارته أو صناعته، ويجيء ملبياً دعوة ربه، ملتمساً ماعنده من الخير والرضوان.

والحجيج - وهم يطوفون بالبيت العتيق - يمثلون أمة حزبها أمر من الأمور، ففزعت إلى ملكها تطوف بقصره، وتسأله أن يدفع عنها المكروه: من حلول عدو، أو نزول مجاعة، أو طغيان فيضان؛ أو يحقق لها المنى، وييسر المطالب، إذ ليس لها من تلوذ ببابه أو تعوذ برحابه سواه.

وإني لأتمثلك أيهـا الصـديق العـزيز، وأنت ترد في حماستـك وغيرتك. على هؤلاء الذين يعترضون على المسلمين الذين يقبلون الحجر الأسود. أو يستلمونه. ويقولون: هذه وثنية؛ إذ كنت تعزو مقالتهم إلى الغباء وضيق الفكر، وتقول: إن الحجر الأسود رمز، وضع في بيت الله العتيق يمثل يمين الله في الأرض يصافح بها عباده.

إن الناس لا يتسنى لهم أن يصافحوا ربهم جل ذكره، وتعالى عن ذلك علوًّا كبيراً، والأنبياء الذين إذا بايعهم العبد فكأنما بايع الله لم يجعل لهم الخلد في الأرض. فوضع الحجر الأسود ليكون رمزاً أبديًّا خالـداً للناس. من شاء أن يعاهد الله منهم على الإيمان والتقوى فليضع يده عليه أن استطاع، وليقبِّله إن تسنى له ذلك، وليشر إليه بيده أو بعصاه إن عجز عن لمسه وتقبيله. فأين الوثنية من هذا المعنى القدسي السامي الذي لا يدركه إلا أولو الألباب؟

والصفا والمروة من شعائر الله، والسعي بينهما يذكر بضراعة أم إسماعيل إلى الله تعالى حين أعوزها الماء، ودعت الله دعوة مضطرة، ففجر لها الماء من صميم الصخر. فحين يسعى الحجيج بين الصفا والمروة، يستعيدون هذه الذكريات، ويظهرون ضراعتهم وذلهم وحاجتهم إلى الله. فيتولاهم بلطفه ورحمته، ويبدلهم من لدنه رحمة.

والوقوف بعرفات يمثل للأذهان الموقف العظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين، ويجتمع الأولون والآخرون في صعيد واحد، ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي، فإذا ذكر الحجاج هذا اليوم وأهواله، ومثلوا لبصائرهم كرباته وشدائده حرصوا على أن يقدموا لأنفسهم من الخير والصالحات مايكون سبباً لنجاتهم من تلك الأهوال، وإنقاذهم من هذه الكربات.

وعرفات مؤتمر إسلامي عام يجتمع فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها، فيتباحثون ويتشاورون فيما يرقى أممهم دينيًّا وخلقيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا. حتى إذا عاد كل فريق إلى بلده، حاول أن يدخل فيه من الإصلاح ماقبسه من غيره، فيرقى العالم الإسلامي في جميع مناحي الحياة.

ولكن واأسفاه! أيها الصديق العزيز!

إن هذه الحكمة العالية تكاد تكون معطلة، فكثير من الأقطار الإسلامية لا تعرف العربية، وسكان البلاد التي تنطق بالعربية لا يحسنون لغات هذه الأقاليم، فلا يتسنى التفاهم بين الفريقين.

فلو أن تلك الأقطار حرصت على أن تتعلم اللسان العربي الذي هو لسان القرآن والسنة، اللسان الذي نزلت به الشريعة على خاتم النبيين، لتسنى لهم التفاهم والتخاطب وتبادل الآراء، ولجنى المسلمون من ذلك أطيب الثمرات وأشهاها.

ورمى الجمار: رمز لدحر الشيطان وحزبه، والإعراض عن إغرائه ووسوسته، إذ ليس من أصالة الرأي أن تتخذ الشيطان عدوًّا ترجمه وتدحره، ثم تعود فتتخذه صديقاً، تستجيب لوسوسته وإغرائه.

ولو أن الحاج استحضر هذا المعنى وهو يرمي الجمار، ثم احتفظ بعد ذلك بقوة إرادته، وصدق إيمانه، ماكان للشيطان عليه بعد ذلك من سلطان.

وأراني أيها الصديق قد أطلت القول، ولعلى أمللتك بذكر أمور لا يخفى أكثرها عليك.

وإلى هنا أيها الحبيب قد أوضحت لك أركان الإسلام الخمسة، وبينت لك أسرارها، وكشفت لك عن أهدافها، ولا جرم أنك أدركت الإسلام على حقيقته، وفهمت الشريعة الحنيفية السمحة، كما جاء بها الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وفي رسائلي المقبلة سأوضح لك حقيقة الإيمان. فإلى اللقاء القريب إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله.

(٩)
الإيمـــان

أخـي الحبيـب:

نضر الله بالإيمان وجهـك. وأثلج باليقـين صدرك، وأصلح بالتقوى بالك، وأحسن بالإخلاص حالك.

وبعـد: فقد أفضيت إليك بجميع ماانضمت عليه جوانحي، وأحاط به علمي من قواعد الإسلام وأركانه، وماقامت عليه دعائم بنيانه، وقد آن أن أحدثك عن الإيمان حديثاً يطمئن به قلبك، ويتم به يقينك. وتميز به الإيمان الحق من دعوى الإيمان، وتتبين به المؤمن الصادق من صرعى الشيطان.

فاعلم يا أخي ـ علمت الخير، وهديت إلى البر ـ أن الإيمان علم وعقيدة، يثمران عملاً صالحاً، فالعمل الصالح غاية الإيمان وثمرته.

وأنت تعلم أن الساعة إن لم تبين الوقت الصحيح كانت فاسدة، وأن المذياع إن لم ينقل إليك الأصوات التي تريد سماعها مع توافر الأسبـاب المعينـة على ذلك كان تالفا، لأنه لم يحقق الغرض، ولم يوصل إلى الهدف.

وكـذلك الإيمان إن لم يحمل على العمل الصالح لم يكن إيماناً حقًـا. يصـدق ذلـك مارواه البخـاري في التاريخ «ليس الإيمان

بالتمني، ولكن ماوقر في القلب، وصدقه العمل. إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم. وقالوا: نحن نحسن الظن بالله. وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل».

فأنت ترى من هذا الأثر: أن قوام الإيمان العمل، لأنه الآية الشاهدة بصدقه، والعلامة الدالة عليه.

وقد روى البخاري عن النبي - ﷺ -: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة. أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق**»(١).

وقـد حصر الله - تعالى - الإيمان الحق في طوائف من الناس، تتـوافـر فيهم صفات خاصة، وتتحقق فيهم سمات معينة؛ فمن توافرت فيه هذه الصفات، وتمت تلك السمات، كان مؤمناً حقًّا، ومن أعوذه بعضها كان في إيمانه ثلمة حتى يستكمل مانقص. قال - تعالى - في سورة الأنفال: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آيـاته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الـذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم**﴾.

فقد بينت هذه الآيات الكريمة أن المؤمن الحق يمتاز بخمس خلال:

أولهـا: أن يستشعر الوجل والخشية من الله - تعالى - والهيبة عند ذكره.

---

(١) متفق عليه.

ثانيهـــا: أن يزداد إيمانـاً إذا سمـع آيات الله تتلى عليه. لأنه يتصور أن الخطاب موجه إليه، وأن الله ـ تعالى ـ يطالبه بأن يتأدب بما جاء في القرآن الكريم من أدب عظيم، وأن يتخلق بما ورد فيه من خلق كريم، وأن يقف عنـــد حدود الله، وينهض بأوامـــره، ويجتنب نواهيه.

ثالثهـــا: أن يتـوكل على ربه وحده. ولا يتجه بقلبه إلى أحد سواه. ليقينه أن لله وحده الخلق والأمر، والملك والتدبير. وأن غيره ـ تعالى ـ لا يملك نفعاً ولا ضـرًّا.

رابعهـــا: إقـامة الصلاة، أي إقامة هيئتها الظاهرة، من قيام وركوع وسجود، وقراءة وذكر. وإقامة روحها الباطن، من خشوع وخضوع وحضور قلب، وفقه لما يتلو ويذكر، واتعاظ بآيات الله، حتى تثمر الصلاة ثمرتها المرجوة، وتأتي بفائدتها المنشودة، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وتشفى من الهلع.

خامسهـــا: الإنفـاق فـي سبيـل الله ووجـوه الخيـر، وإنفـاق المـال في سبيـل الله: من أصدق الدلائل على صدق الإيمان، لأنه علامة الثقة بوعد الله، وآية اليقين بأنه ـ تعالى ـ لا يضيع أجر من أحسن عملا.

وقال ـ تعالى ـ في سورة النور: ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك**

لبعض شأنهم فَأْذَنِ لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾. [النور: ٦٢].

فقد جعل الله ـ جل ثناؤه ـ من شيم المؤمنين الصادقين: أنهم إذا كانـوا مع رسول الله ـ ﷺ ـ على أمر جامع من أمور المسلمين لا يتركونه لشأن من شئونهم الخاصة إلا إذا أذن لهم، وقد أوصى الله ـ تعالى ـ رسوله ـ ﷺ ـ بأن يأذن لمن شاء أن يأذن له منهم ممن لا يرى في الإذن له ضرراً ولا تعطيلاً لمصالح المسلمين، ثم مع هذا الإذن يستغفر لهم الله. لأنهم آثروا مصالحهم الخاصة على مصالح المسلمـين العـامـة. وقـد حملهم ذلـك أن يستأذنوا الرسول لكي ينصرفوا إليها.

وقال ـ تعالى ـ في سورة الحجرات: ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله * ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**﴾. [الحجرات: ١٥]. فجعل ـ سبحانه ـ الجهـاد بالأموال والأنفس من سمات المؤمنين الصادقين، الذين لم يرتابوا. ولم تخالج الظنون إيمانهم. ولم تعبث الشكوك بيقينهم.

مر رسول الله ـ ﷺ ـ بالحارث بن مالك الأنصاري فقال له: «**كيف أصبحت ياحارث؟**» قال: أصبحت مؤمناً حقًّا: قال: «**إن لكـل شيء حقيقـة، فما حقيقة إيمانك؟**» قال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً. وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون، وكأني أنظر إلى أهل

النار يتضاغون. فقال له ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**عرفت، فالزم**»[١].

وقال رجل للحسين ـ رضي الله عنه ـ أمؤمن أنت؟ فقال: الإيمان نوعان: فإن كنت تريد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخـر، والبعث والنشور، والحساب والعقاب، فأنا مؤمن. وإن كنت تريد ماجاء في قوله ـ تعالى ـ ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾ الآيات. فلا أدري أمؤمن أنا أم لا؟.

هذه النصوص ترشدك أيها الحبيب إلى أن العمل علَم الإيمان، وأحب الأعـمال إلى الله: أدومهـا وإن قل. وخـير الناس أنفعهم للنـاس، فالعمـل الصـالح مازكى به الإنسان نفسه، ونفع أهله وعشيرته. وخدم أمته ووطنه.

والإيمان يزداد بالعلم، فكلما ازداد المؤمن علماً بسنن الله وأسرار الكون وعجائبه ازداد إيماناً ويقيناً. قال ـ تعالى ـ: ﴿**وإذا ماأنزلت سورة فمنهم من يقـول أيكم زادتـه هذه إيـماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون**﴾ وقال ـ تعالى ـ: ﴿**الذين قال لهم النـاس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً**﴾ وقال ـ تعالى ـ: ﴿**ومازادهم إلا إيماناً وتسليما**﴾.

وأراني قد أطلت عليك، أيهـا الحبيب! واستجبت لرغبتي في

---

(١) أخرجه الطبراني وقال الهيثمي في المجمع ١/٦٢ رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة، وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه.

الأنس بإطالة الحديث إليك. فأصافحك على بعد الدار، وشط المزار.

وإلى اللقاء الروحي القريب على صفحات البريد الإسلامي، حتى يأذن الله باللقاء الحسي في خير البقاع. وأسعد الأوقات. إن شاء الله.

والسلام عليك ورحمة الله.

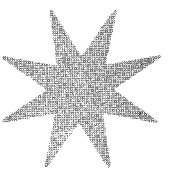

(١٠)
الإيمـان باللـه

أخـي الحبيـب:

أذاقك الله حلاوة التقوى، وأودع صدرك برد اليقين، وجنبك الشبهـة، وعصمـك من الحـيرة، وحبب إليك التثبت، وزين في عينك الحق، وحفظك من الشكوك والأوهام.

أما بعـد: فقد ختمت رسالتي السابقة إليك قبل أن أقضي وطراً من الحـديث في الإيمان، وقبـل أن أروي ظمأك إلى الوقوف على ماغاب عنك من الحق فيه. وهآنذا أعود إلى متابعة هذا الحديث الـذي أعتقـد أنه محبب إلى نفسك، مزين في صدرك، وأنك في مواصلته راغب، وعلى إتمامه جدُّ حريص.

تصور أيها العزيز مجتمعاً إنسانيًّا لا يعرف خالقاً، ولا يؤمن بإلٰه، ألا تعتقـد أن أفراده يعيشون كما يعيش الحيوان، ويتعاشرون كما تتعاشر الأنعام، لا يرعون لشيء حرمته، ولا يرجون لشيء وقاراً، تسود بينهم شريعة الغابة، ويعتدي القوي على الضعيف، والكبير على الصغير، والغني على الفقير، لا يخشون إلا القوة، ولا يرهبون إلا شدة الشكيمة، تضيع بينهم الأمانة، وتهدر الحقوق، فيكونون بمدرجة من الفناء والزوال، أو في طريق الضعف والاضمحلال.

وهنـا أحس اعتراضاً يختلج في صدرك، ويهجس في خاطرك، وكأنك تقول: فما بال بعض الأمم الوثنية ناهضة راقية متقدمة في صناعتها وتجارتها وزراعتها، تستمتع بحال من الغنى والثراء، وتتبوأ مكاناً من القوة والمتعة تغبطها فيها الأمم الإسلامية التي تدين دين الحق، وتؤمن بالله ورسوله؟.

وردي على اعتراضك: أن الإنسان حيوان دينيّ، أي مفطور على التدين، فإن لم يهتد إلى دين الحق، فإنه يقيم من أوهامه وأخيلته وتصوراته إلهاً يعبده ويرجوه ويخشاه. وإن اعتناق دين خرافي يحترم معتنقه أوامره ونواهيه، ويتفانى في النهوض بتكاليفه، ويقف عند حدوده، لخير من التحلل من دين سماوي صحيح يدعو إلى الحق، ويهدي إلى الرشد، وينهى عن الشر، ويحذر الضر.

وإن نهضة الأمم الإسلامية ماقامت إلا على أساس من دينها، واستمساكها به، فلما استهانت بأمره، وتركت العمل بشرائعه، واتخذت هدايته وراءها ظهريًّا. فشلت وذهبت ريحها، وتحكم فيها أعداؤها. وأذاقها الله لباس الجوع والخوف. قال ـ تعالى ـ في سورة النور: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾. [النور: ٥٥].

هذا ولعـظيم أثـر الإيمان بالله ـ تعـالى ـ في صلاح المجتمـع الإنساني جعله الله ـ تعالى ـ مركوزاً في غرائز البشر، وفطرهم عليه،

قال ـ تعالى ـ في سورة الأعراف: ﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون**﴾. [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣].

وقال تعالى في سورة الروم: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون**﴾.

وإنما تفسد الفطرة بالاقتداء على آثار الآباء، والخضوع لأحكام العادات الموروثة. واتباع البيئات الفاسدة، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**كل مولود يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**».

هذا وللإيمان ـ أيها العزيز ـ بضع وسبعون شعبة كما أخبرتك في رسالتي السابقة. وسأحدثك عن بعضها في رسالتي المقبلة. أما الآن: فحسبي ما كتبت مما أعتقد أنك أعلم به مني، فقد عهدتك واسع الاطلاع حريصاً على الوقوف على الحقائق، متفانياً في البحث والدرس، شديد الرغبة في الاستزادة من العلم الصحيح، ولو لا أني أجد في الكتابة إليك لذة لا تعدلها لذة. ماأمللتك بهذا الحديث الطويل.

وإلى اللقاء.

(١١)
شعـــب الإيمـــان

أخـــي الموفـــق:

أقـر الله بك عين الإسـلام. وأصلح بصحـة عقيدتـك صور الإيمان. وأرضى بصالح عملك صحيح الإحسان.

وبعـــد: فقد وعدتك في رسالتي السابقة أن أستأنف الحديث معك في هذه الرسالة بذكر شيء من شُعب الإيمان. ولا يزال يرن في سمعي صدى كلماتـك الحكيمة، التي كانت تثلج صدري في مفتتـح عهدك بإعلان إسلامك، حين كنت ترافقني إلى المساجد العـامـة لأداء فريضـة الجمعـة، وكنت تسمـع الخـطبـاء يثـرون ويهضبون، ويبدون ويعيدون، ويكثرون من القول في تحذير الناس الزنا والربا، وشرب الخمر، وشهادة الزور فكنت تقول: إن من أكبر الخطأ أن نعالج عرضاً من أعراض المرض. ونترك المرض يستشري ويعضـل. بغير أن نناله بعلاج ناجع؛ فالذي يشكو صداعاً أليماً ـ لأن ضرساً من أضراسه نخر ـ لن يجدي عليه علاج الصداع ولن يبرأ الصـــداع مادام الضرس نخـراً، فإذا عولـج الضرس برىء الصـداع من تلقاء نفسه. كذلك هؤلاء الخطباء، يحاولون علاج أعراض لداء نفسي خبيث، فمهما بذلوا من الجهد في علاج هذه

الأمراض، فليست ببارئة مادام أصل الداء باقياً.

وأصـل الـداء: ضعف الإيمان، ورقـة الـدين، وقلة اليقين، وسببه: الجهل بالله ـ تعالى ـ. فلو نظر الناس في ملكوت السموات والأرض، وقدروا سعة ملك الله، وعظيم سلطانه، وجليل آثاره، وعرفوا معاني أسمائه الحسنى، وصفاته العلا؛ لقدروه حق قدره، وآمنوا بشديد بطشه، بوجوده وعلمه وحكمته ورحمته. وأيقنوا أنه مطلع عليهم، خبـير بأعمالهم، ولو فعلوا لقنوا الحياء، ولم يعتدوا حدود الله، ولم يقترفوا ما حرَّم.

لو أن الخطباء أنفقوا جهودهم في التعريف بالله. وتوجيه الأنظار إلى آياتـه في الأنفس والآفـاق؛ وفي بيان آيات الكتاب الحكيم. وتوضيح ماتضمنت من المعاني السامية، والحكم البالغة. وفي ذكر النعم التي أسبغها على الناس ظاهرة وباطنة، وفي تحببه إليهم ببيان رحمتـه ورأفتـه وعظيم فضله ومظاهر أسمائه وصفاته، إذاً لأراحوا أنفسهم من عناء كثير، ولوصلوا إلى مايبتغون من صلاح المجتمع من أقرب سبيل.

كانت فكرتك هذه ـ أيها العزيز ـ تروقني وتستأثر بإعجابي.

وأقول: إنك مسلم بالفطرة. لأنك اهتديت بفطرتك السليمة من روح الإسلام إلى مالم يهتد إليه أولئك الذين ورثوا الإسلام كابراً عن كابـر، ولـولا ذلـك ماضحيت بكـل ثمـين في سبيل إعـلان إسلامك، والجهر بعقيدتك على رغم العاذلين.

إذا صدق الإيمان بالله ـ أيها الحبيب ـ ورسخت أصوله في النفس

عن معرفة ويقين. نشأت عنه هذه الفروع أو الشعب التي وعدتك أن أحدثك عنها في كتابي إليك.

من شُعب الإيمان ـ أيها الصديق ـ الحياء من الله ومن الناس. والحياء هو انقباض النفس عن فعل مالا يحل ولا يجمل. يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**الحياء شُعبة من الإيمان**»(١).

ومن شُعب الإيمان: أن يحب المؤمن لإخوانه المؤمنين من الخير مايحب لنفسه، ويكره لهم من الشر مايكره لنفسه. لقوله ـ ﷺ ـ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه**»(٢) ولا عجب أن يثمر الإيمان الصحيح هذه الثمرة الطيبة المحببة إلى النفوس، والتي بها يسعد المجتمع الإسلامي كله.

ومن شُعب الإيمان: حب الرسول ـ ﷺ ـ، وإيثاره على كل شيء وعلى كل أحد، وتقديم هديه على كل رأي، ونصحه على كل نصح، فمن أحب الرسول أطاعه. ومن يطع الرسول فقد أطاع الله. ومن أطاع الله كان مؤمناً حقًّا. وكان من المفلحين. يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»(٣). ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»(٤).

---

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.

والفرار من الفتن من شُعب الإيمان، لقوله ـ ﷺ ـ: «**يوشك أن يكون خيرَ مال المسلم غنمٌ يأوى بها إلى شعف الجبال، يفر بدينه من الفتن**»(١).

وقـوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**ستكون فتن؛ القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، من استشرف لها تستشرفه**».

ومن شعب الإيمان: الصدق والوفاء والأمانة، لأن أضدادها من آيات النفاق. قال ـ ﷺ ـ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»(٢).

ومن شعب الإيمان: إخلاص النصح للمؤمنين. قال ـ ﷺ ـ: «**الـدين النصيحـة**». قالـوا: لمن يارسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(٣).

هذا وعمـود الأمر كله: البر الذي وصفه الله ـ تعالى ـ بقوله: ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الـرقـاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**﴾. [البقرة: ١٧٧].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ والبخاري وأبوداود.

(٢) متفق عليه. (٣) أخرجه مسلم.

هذا، ولا أريد أن أطيل عليك أيها الصديق الكريم، فأنا على يقين من أنك لا تفتأ تحافظ على قراءة وردك من القرآن، وأنك تقرأ كل يوم جزءاً، وأنك تختم القرآن في كل شهر مرة.

وأنا أهنئك بهذا التوفيق، فإذا حاولت في أثناء تلاوتك وتدبرك أن تستنبط من القرآن شعب الإيمان. كان ذلك ميسوراً لك، وهيناً عليك.

وفي كتب السنـة بيان للكثـير من هذه الشعب. وثقتي بكثـرة اطـلاعـك تجعلني أوجـز القول. وحسبي أن أقول لك: إن كل معروف وإن قَلَّ فهو من شعب الإيمان، حتى لقاء الإخوان بوجه طلق، وحتى إماطة الأذى عن الطريق.

صدقني أيها العزيز، إن قلت لك: إن شوقي إليك قد بَرَّح بي، وإن رسائلي إليك، ورسائلك إليَّ، وإن طالت فلن تغني عني شيئاً، ولن تشفي الغلة، ولن تطفيء اللوعة، فمتى تسمح الأقدار باللقاء؟

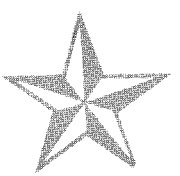

(١٢)
الإيمـــان بالملائكـــة

أخـــي الحبيـب:

رزقني الله وإياك قوة الإيمان، ومتانة اليقين، وزودنا التقوى، وردَّ عنـا كيد الشيطان. وأعـاذنا من وسوسته وهمزاته، ومن فتنته وإغوائه، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة وبعد الممات.

وبعـــد: فقـد ذكـرت لك في رسـالتي السابقة بعض شعب الإيمان، أي بعض النواحي العملية التي تشهد بأن المؤمن على يقين مما وقَر في قلبه، وأن الله قد شرح صدره للإسلام، فهو على نور من ربه.

وقـد بسـطت لك في رسـالـة أسبق ـ الركن الأول من أركان الإيمان ـ وهو الإيمان بالله تعالى. وسأشرح لك في رسالتي هذه الركن الثاني، وهو الإيمان بالملائكة.

فاعلم أيها العزيز أن لله ـ تعالى ـ خلقاً من عالم الغيب، العالم الذي لا تقع عليه حواسنا، اسمهم الملائكة. ولا نعلم شيئاً عن هيئـاتهم وأشكـالهم إلا ماجاء في كتاب الله أو سنة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهم مخلوقون من النور. فقد روى البخاري من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«**خلقت الملائكة من نور، وخلقت الجن من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»(١).

وفي عالم الشهادة مخلوقات: لا تدركها الحواس. وقد أثبت العلم الحديث وجودها، وقد رأيناها رأي العين تحت المنظار المعظم (الميكرسكوب) وهي جراثيم الأمراض التي عاد كشفها على الإنسانية بأعظم الخير؛ إذ كان عوناً على مكافحة الأوبئة الفتاكة والتغلب عليها، كما أعان على ارتقاء الجراحة والاستفادة منها.

فإذا كان في عالم الشهادة كائنات لا تدركها الحواس، فأجدر أن يكون ذلك في عالم الغيب، وقد أثبت العلم الحديث: أن من الأشعة مالا تراه العيون، كالأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء. فليس عجيباً إذاً أن يخلق الله خلقاً لا تدركهم الأبصار ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾.

على أن الملك ـ وهو واحد الملائكة ـ قد يتمثل بشراً سويًّا. كما تمثلت الملائكة لإبراهيم حين بشروه بغلام عليم. قال ـ تعالى ـ: ﴿**هل آتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون * فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين * فقربه إليهم قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم * فأقبلت امرأته في صَرَّة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم * قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم**﴾. [الذاريات: ٢٤ ـ ٣٠].

---

(١) أخرجه مسلم.

وكما تمثلوا للوط ـ عليه السلام ـ. قال ـ تعالى ـ: ﴿**ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب * وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد * قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وإنك لتعلم مانريد * قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد * قالوا يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك**﴾. [هود: ٧٧ ـ ٨١]. وكما تمثل الروح لمريم ـ رضي الله عنها ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿**واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيًّا * فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا**﴾. [مريم: ١٦ ـ ١٧]. وكما كان يتمثل لرسول الله ـ ﷺ ـ في صورة بعض صحابته، أو في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر. لا يعرفه من الصحابة أحد.

سألت عائشة رسول الله ـ ﷺ ـ: «كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «**أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ماقال. وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي مايقول**»[1]. (**انظر صحيح البخاري باب كيف كان بدء الوحي**).

و «الملائكة» عباد مكرمون لا يعصون الله ماأمرهم، ويفعلون مايؤمرون، ولا يسبقونه بالقول. وهم بأمره يعملون. لا يتنزلون إلا بأمر الله، وهم أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع. جعلهم الله رسلاً

(١) متفق عليه.

إلى الأنبياء ليبلغوهم رسالة الله إلى الناس. قال تعالى: ﴿**الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس**﴾. [الحج: ٧٥]. وقال عز من قائل: ﴿**الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشاء إن الله على كل شيء قدير**﴾. [فاطر: ١]. ﴿**يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقِهم عذاب الجحيم* ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك العزيز الحكيم* وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم**﴾. [غافر: ٧ ـ ٩].

وهم يحبون من أحبه الله من عباده الصالحين. روى البخاري قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادى جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء. ثم يوضع له القبول في الأرض**»(١)

ويكتبون الداخلين إلى المساجد أيام الجمع روى البخاري: «**إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول. فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاءوا يستمعون الذكر**»(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه بلفظ أطول من هذا.

ويكتبـون أعـمال العباد. والله أعلم بها. قال ـ تعالى ـ: ﴿**إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد* مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾. [ق: ١٧ ـ ١٨]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم: ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر. ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسـألهم ربهم ـ وهـو أعلم بهم ـ فيقـول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم يصلون: وأتيناهم يصلون**».

هذا، وللمـلائكـة أعـمال أخرى، جاءت في الكتاب الكريم والحديث الشريف فلا داعى لإطالة الكلام بها.

والإيمان بالملائكة أصل للإيمان بالوحي وبالرسل، فمن لم يؤمن بالملائكة ـ وهم سفراء الله إلى الرسل ـ لا يؤمن بالوحي ولا بالرسل.

ليس في وسـع البشر أن يروا المـلائكـة لأنهم من عنصر غير عنصرهم فاقتضت حكمـة الله أن يجعـل الـرسـل إلى البشر من جنسهم. على أن يمنحهم استعـداداً خاصاً للتلقي من الملائكة. ثم هم يبلغـون البشر ماتلقون. ﴿**ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم مايلبسون**﴾.

طال القـول فعفـواً إن أمللتـك، واستـأثـرت ببعض وقتك. أصافحك على البعد، وأتمنى لك دوام التوفيق.

(١٣)
الإيمـان بالكتـب السماويـة

أخـي الحبيـب:

وبعـد: فقد كانت رسالتي السابقة إليك تدور حول الإيمان بالملائكة. والإيمان بالملائكة أساس يقوم عليه الإيمان بالوحي والكتب السماوية، التي أنزلها الله ـ تعالى ـ على رسله المصطفين، لتبليغها إلى أممهم.

أما رسالة اليوم: فإنها خالصة لبسط القول في الإيمان بالكتب السماوية فمن آمن بالله وملائكته لا يشق عليه أن يتصور أن الله ـ تعالى ـ يرسل ملكاً من الملائكة إلى رجل يصطفيه من الناس بكتاب. يضمنه الشريعة التي يريد أن يبلغها ذلك الرسول المصطفى إلى أمته، فإن أنكر ذلك منكر. أو ارتاب فيه: لم يكن إيمانه بالله ـ تعالى ـ صحيحاً، ولم يكن إيمانه بالله ـ تعالى ـ حقًّا.

ولقد كنت أيها العزيز! مؤمناً بالله وملائكته وكتبه من قبل أن تتخذ الإسلام ديناً، وكان إيمانك هذا هو سبيلك إلى الإسلام، ولا زلت أذكر أنك قلت لي فيما كنت تقول: إن الله الذي يقدر أن يخلق شخصاً ممتازاً ليجعله رسولاً إلى أمته في عصر من العصور، لا يعجزه أن يخلق شخصاً آخر أكثر امتيازاً ليرسله إلى الجيل الذي

يخلف الجيل الأول، والذي يكون قد ورث ثقافة الأول ومدنيته. وزاد عليها نتائج تفكيره وثمرات بحثه. وزدت على ذلك: أن الشريعة اللاحقة لابد أن تكون أتم وأوفى من الشريعة السابقة. لأنها توائم ثقافة الجيل الأخير، ومانتهى إليه من الرقي في سُلم المدنية. وكنت تستدل بما جاء في الإنجيل على لسان المسيح عيسى ابن مريم «ماجئت لأنقض الناموس بل لأتمم».

وكنت أقول لك: إن هذا القول شبيه بما جاء في القرآن الكريم حكاية عنه ـ عليه السلام ـ: ﴿**ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم**﴾. [آل عمران: ٥٠].

ولقد خرجت ـ أيها الصديق العزيز ـ من هذه المقدمات بنتيجة صحيحة. وهي أن القرآن الكريم أكمل الشرائع السماوية وأوفاها، لأنه أنزل في وقت قد تم فيه نضج البشرية، وبلغ عقلها غاية كماله، وبذلك يكون خاتم الشرائع كذلك. إذ مهما تبلغ الإنسانية من الرقي بعد ذلك، فهي واجدة فيه حاجتها تامة موفورة. لأنه جاء بشريعة صالحة لكل زمان ومكان.

أنت تعرف بلا شك من الكتب السماوية التوراة، وهي كتاب موسى ـ عليه السلام ـ، والإنجيل وهو كتاب عيسى ـ عليه السلام ـ، والزبور وهو كتاب داود ـ عليه السلام ـ، وتعرف صحف إبراهيم وموسى. ثم القرآن الذي هو المعجزة الخالدة لخاتم النبيين محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب النبي الأمي الذي أرسل إلى الناس كافة. ليكون رسول الإنسانية كلها، وهاديها إلى سواء

السبيل. وكل آية من آياته كنز من كنوز العلم والحكمة. لو تدبرها الناس وعملوا بها لسعدوا في الدنيا والآخرة. وهذا القرآن ناسخ لما قبله من الكتب السماوية ومهيمناً عليها.

ومن مقتضيات الإيمان بالقرآن والتصديق بأنه رسالة من عند الله إلى الناس: أن نقبل على هذه الرسالة لنقرأها ونفهمها ونتدبرها، ثم نعمل بما فيها. فننتصح بنصائحها، ونهتدي بهداها، ونحرم حرامها، ونحلل حلالها، وننهض بتنفيذ شرائعها. وبذلك ننتفع بما في هذه الرسالة من كنوز العلم والحكمة وذخائر الهداية والعرفان.

ومما قدمت لك تدرك ضلال هؤلاء الذين يحرمون على الناس النظر في كتاب الله. والاستهداء بهدايته ومحاولة فهم نصوصه الواضحة البينة. وقد سماه الله كتاباً مبيناً، وقال: ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾. [القمر: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته**﴾. [ص: ٢٩]. فلو أن امرءاً بعث إليه والده ـ مثلاً ـ برسالة. أفليس خليقاً به أن يقرأها ليعرف مافيها أو يلتمس لها قارئاً. إن كان أميًّا لا يقرأ، ويلتمس لها مترجماً إن كتبت بغير اللغة التي يتكلم بها. حتى يتمكن من معرفة مراد والده من الرسالة التي بعث بها إليه. أما أن تناول الرسالة من البريد فقبّلها ووضعها فوق رأسه. ثم صنع لها غلافاً من الحرير، وصوانا من الذهب. واحتفظ بها كما جاءت من غير أن يفض ختامها، ويقف على مافيها، فلن يبلغ بذلك من مرضاة والده شيئاً. ولن يغني عنه أن يقول لأبيه: لقد قبّلت رسالتك، ووضعتها

على عيني ورأسي. وصنعت لها غلافاً من الحرير، وأودعتها صواناً من الذهب؛ لأن أباه يقول له: ماكنت أريد من كل هذا شيئاً. إنما كنت أريد أن تُقْبلَ على هذه الرسالة فتقرأها، وتفهم ماحوت، ثم تعمل به، فلقد أضعت بجهلك على نفسك خيراً كثيراً.

وبذلك تدرك أيضاً ضلال هؤلاء الذين اتخذوا كتاب الله حرفة يستدرون بها أخلاف الرزق، فيتغنون به على المقابر وفي المآتم، أو يكتبون منه الرقاع والصحاف ليدفعوا بها عن المرضى - بزعمهم - ما يعانون من أمراض وأوصاب أو غير ذلك.

لا. لا. ياأخي. لغير هذا أنزل القرآن. فليتق الله المسلمون في كتاب ربهم، وليغترفوا من معينه الفياض، ولينهلوا من نميره العذب مافيه شفاء لما في صدورهم من النفاق والرياء والغل والحقد والحسد والعداوة والبغضاء، وليستمدوا من كنوزه مايسعدون به في الدنيا والآخرة.

لقد اتخذت من كتاب الله ورداً أتلو كل يوم منه جزءاً لأختمه مرة في كل شهر. وهذا جهد المقل، فهل يتسع وقتك لأكثر من هذا؟ فلقد عهدتك تنافسني دائماً في التقرب إلى الله بالصالحات، وتحرص على أن تكون أكثر مني عملاً، وإني لأغبطك فيما أنعم الله به عليك من توفيق، وأود لو أتيح لي ما أتيح لك من زاد الآخرة.

وأختم هذه الرسالة بالابتهال إلى الله تعالى أن يمنحني وإياك مزيداً من العلم والإيمان.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

(١٤)
الإيمـان بالرسـل

أخـي الحبيـب:

سلام عليكم.

وبعـد: فما كان أشـد سروري واغتباطي برسالتك السابقة إليّ. فلقد أثلجت صدري. وكانت بلسماً لجراح قلبي، حين لاح من بين سطورها نور البشرى بأنك استطعت أن تهدي جماعة من المحيطين بك إلى الإسلام الحق علماً واعتقاداً وعملاً. ومما أدهشني في رسالتك، أن تقول: إن هؤلاء الذين اهتدوا إلى الإسلام كانوا مسلمين. أجل كانوا مسلمين بأسمائهم وبأسماء آبائهم، وبأنهم ينتسبون إلى فريق من الناس يعرفون بالمسلمين. كأنهم حزب من هذه الأحزاب السياسية التي سرى فينا داؤها بالعدوى من الأجانب عنا وعن ديننا، فتركنا الاعتصام بحبل الله وتفرقنا. بيد أن الأحزاب تخدم مبادئها وتستمسك بها، وتعمل على نشرها، أما هؤلاء المسلمون: فليس بينهم وبين الإسلام إلا صلة الدعوى والأسماء التي شرعوا يتخلصون منها أيضاً.

سرني أن تقول: إن إخوانك هؤلاء أصبحوا يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان ويحجون. كل هذا بعد أن عرفوا

ربهم وأخلصوا العبادة له وحده، وتركوا الخرافات والبدع التي كان يدين بها آباؤهم، وهي ليست من الإسلام في شيء. وإنك لتعلم ياأخـي أنـه لا يعـزيني في هذه الحياة شيء كما يعـزيني علمي باستمسـاك المسلمين بدينهم، وحرصهم على الاعتصام به. فإن مجدنا الأول لم يقم صرحه إلا على أساس من الدين الحق، فإذا نبذنا الإسلام الذي رضيه لنا ربنا وراءنا ظهريًّا انهار ذلك البناء، واندك ذلك الصرح، وإن تخلَّف المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها عن ركب الحضارة والمدنية، لا سبب له إلا تفريطهم في جنب الدين.

عذراً أيها الصديق، فقد جمع بي القلم، حتى أوشك أن يبوح بما أوثـر أن أكتمـه في نفسي، وأبقى عليه بين حنـايا صدري، وإنما تفيض العين عند امتلائها.

كانت رسالتي الماضية إليك في الإيمان بالكتب السماوية، واليوم أتحدث إليك عن الإيمان بالرسل، الذين لا يكمل إيمان المرء، إلا بالإيمان بهم.

ومن عجب: أن الإسلام يدعونا إلى الإيمان بالرسل بغير تفريق بينهم امتـلائها ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**﴾. [البقرة: ٢٨٥].

فالـرسـل أيهـا الصـديق، رجـال من بني آدم هداهم الله واصطفاهم، وأوحى إليهم بشرائع ليبلغوها إلى الناس، ولم يجعلهم من الملائكة، لأن الناس لا قبل لهم برؤية الملائكة والتلقي منهم،

فاقتضت رحمة الله بعباده أن يجعل رسله إليهم من بني جلدتهم، حتى يأنسوا بهم ويتلقوا منهم.

يصطفى الله من الناس رسلاً يصطنعهم لنفسه، ويعدهم للرسالة ويمنحهم نفوساً رضية، وقلوباً صافية نقية، وعقولاً نيرة ذكية، وأخلاقاً كريمة، فهم صادقون لا يكذبون، وأمناء لا يخونون، وأذكياء لا يعرف الغباء إليهم سبيلاً.

ومن أخص صفاتهم، وأوضح مميزاتهم: التبليغ فهم يبلغون جميع ماأنزل إليهم من ربهم، لا يكتمون منه حرفاً، ولو كان فيه عتاب موجه إليهم. وحسبك قول الله ـ تعالى ـ لنبيه ـ ﷺ ـ: **﴿عبس وتولى* أن جاءه الأعمى* ومايدريك لعله يزكى* أو يذكر فتنفعه الذكرى﴾**. [عبس: ١ ـ ٤].

وقوله ـ تعالى ـ: **﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾**.

وهم بشر مثلنا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، لهم أزواج وذرية، وتجوز عليهم الأعراض البشرية التي تجوز على سائر البشر، من الحب والبغض والرضا والغضب، وإن كان حبهم ورضاهم لله، وبغضهم وغضبهم في الله، وهم معصومون لا يقترفون الرذائل التي يقترفها الناس لتكون فيهم أسوة حسنة لأممهم.

ليس في وسع الإنسان أن يهتدي إلى مافيه سعادة الدنيا والآخرة بنفسه لأن عقله أضعف من أن يستقل بالإحاطة بمنافعه، فكان من رحمة الله: أن يسر الهداية على أيدي طائفة من بني الإنسان،

أيدهم بآيات وخوارق تقوم مقام قول الله ـ تعالى ـ: «**صدق عبدي فيما يبلغ عني**».

وليست هذه الخـوارق من صنـع أيديهم، ولا قدرة لهم على إحـداثهـا والإتيان بها، إنـما هي عمـل الله ـ تعـالى ـ لتـأييدهم وتصديقهم. والدليل على هذا: أن موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ لما أمره الله ـ تعالى ـ أن يلقى عصاه فألقاها، فإذا هي حية تسعى، أوجس في نفسه خيفة، فلو أن المعجزة من صنعه ماسرى الخوف منها إلى نفسه، وإذا كانت معجزات المرسلين ليست من صنعهم، فكـذلك كرامات الأولياء، لا يد لهم في إحداثها، ولكن الله ـ تعالى ـ يكرم من عباده من شاء، بما شاء كيف شاء.

ولقـد أرسل الله رسلاً من قبل محمد ـ ﷺ ـ. منهم من قص عليه، ومنهم من لم يقصص عليه ﴿**وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله**﴾.

أما طرق الوحي إلى الرسل: فقد بينها الله ـ تعالى ـ بقوله: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمـه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه مايشاء**﴾.

فأولها: الوحي. وهو إلهام الرسول في نفسه مع اليقين بأنه من عند الله. فيعمل بمقتضاه.

وثانيها: الكلام من وراء حجاب. وهو أن يسمع الرسول كلام الله ـ تعالى ـ، ولكنه لا يراه، لأن رب العزة ـ سبحانه ـ ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾ كما سمع موسى

ـ عليه السلام ـ كلام الله ـ تعالى ـ، حين نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركـة ﴿**أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين**﴾.

وثالثها: إرسال الرسول ليوحى بإذن الله مايشاء. كما كان يقع لسائر الأنبياء، إذ يرسل الله ـ تعالى ـ إليهم جبريل متمثلاً في صورة إنسـان فيكلمهم. وقد يتصل بهم بغير أن يتمثل، كما قال النبي ـ ﷺ ـ: «**أحيـانـاً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد عليَّ، فيفصم عني، وقد وعيت ماقال**»(١).

وهذه الطريقة لا نستطيع أن ندركها أو نحيط بها خبراً، إنما هي من شأن الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وحدهم. ولا ينبغي لنا أن نخوض فيها، لأننا لا نستطيع أن نكشف عن وجه الحق في أمرها.

ومحمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم خاتم الأنبياء، لا نبي بعده، تضافر على ذلك كتاب الله وسنة رسوله. قال ـ تعالى ـ في سورة الأحـزاب: ﴿**مـاكـان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسـول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما**﴾. [الأحزاب: ٤٠]. وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لا نبي بعدي**» وقال ـ عليـه الصـلاة والسلام ـ: «**بعثت والساعة كهاتين**»(٢) وقرن بين إصبعيه: السبابة والوسطى. أي ليس بعده نبيّ. وليس بينه وبين الساعة نبي. كما أنه ليس بين السبابة والوسطى إصبع.

وقد قضت سنة الله تعالى: أن يخبر كل نبي بمن يأتي بعده من الأنبياء، حتى إذا بعثوا آمنت بهم أممهم، ولم يتنكروا لهم. فقد بشر

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.

عيسى برسالة محمد ـ ﷺ ـ. وهذه البشارة في الإنجيل. لو لا أن القوم حرفوا الكلم عن مواضعه، وانتحوا بالترجمة ناحية تبعدها عن معناها الحق. وقد أخبر بها القرآن الكريم صريحة. فقال تعالى في سورة الصف: ﴿**وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسولٍ يأتي من بعـدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين**﴾. [الصف: ٦].

ويشهد بهذا قول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنُنَّ به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى معكم بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾. [آل عمران: ٨١ ـ ٨٢].

ولم تبق من شرائع الرسل شريعة قائمة إلا شريعة محمد ـ ﷺ ـ وقد نسخت ماسبقها من الشرائع جميعاً ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾.

هذا وخاتم النبيين هو خاتم المرسلين، لأن كل رسول نبي ولا عكس. فلا يمكن أن يأتي بعد محمد ـ ﷺ ـ نبي ولا رسول. وكل من ادعى النبوة أو الرسالة بعد محمد ـ ﷺ ـ فهو كذاب مفتر خارج عن الإسلام.

وقد طال حديثي إليك، فأقف الآن عند هذا الحد، وأستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك.

والسلام عليك ورحمة الله.

(١٥)
الإيمـان باليـوم الآخـر

أخـي الحبيـب:

زودك الله التقوى، ويسر لك الخير حيث كان.

سـلام عليـك.

وبعـد: فقـد كانت رسـالتك الأخيرة طمأنينة لقلبي. ولقد سرني أعـظم السرور علمي بأنك بدأت تجمع حولك طائفة من الشباب المثقف الذي تحرر من رق الجمود، وترك طاعة العادات الموروثة، وثار على القديم البالي، وأخذ يدعو إلى التحرر والانطلاق من سجن التقليد، وتعمل على بث التعليم الديني الصحيح المعتمد على النصوص الصريحة من كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ. وتلك حركـة مبـاركـة ستثمر أطيب الثمرات بإذن الله. وستسري هذه الحركة مسرى الكهرباء في النفوس. وعما قليل ينتشر نورها، لا في بلدك وحده. ولكن في العالم الإسلامي قاطبة، بعون الله وحسن توفيقه.

ويقيني أنك تحررت كل التحرر مما ورثته من أسلافك من دينك القـديم، فإن مما امتحن به الإسـلام: أن اعتنقه طائفة من أهل الأديان الأخرى. فدخلوا فيه وقلوبهم مفعمة بعقائدهم القديمة،

وأدمغتهم محشوة بأفكار فاسدة سابقة، وكانوا على شيء من العلم، وقد أوتوا حظًا من البيان، وفصاحة القلم واللسان، فكتبوا وتكلموا، ونفثوا سموم معتقداتهم الفاسدة فيما كتبوا وفيما تكلموا، فسرت في الأفكار، ودبت في النفوس، وأخذها الناس بحسن نية وسلامة طوية. فكانت أصلاً للداء الذي لا يزال المسلمون يعانون ويلاته إلى اليوم؛ ولا يفتأ المصلحون يلقون أشد العنت في تخليص الأفكار من سمومه. ومداواة النفوس من أوصابه.

لقد كانت رسالتي الماضية إليك تضم جوانحها على الكلام في الإيمان بالرسل. أما رسالة اليوم: فستحدثك عن الإيمان باليوم الآخر.

ألا فاعلم أيها الحبيب! أن الإيمان باليوم الآخر من أوثق أركان الإيمان. وجميع الأديان السماوية تشترك في الدعوة إلى الايمان به. لأن الذي لا يؤمن بالبعث لا يتحرج عن مأثم، ولا ينتهي عن منكر. ولا يرقب في مؤمن إلًّا ولا ذمة. ولا يرجو لله وقاراً؛ لأنه لا يرجو ثواباً، ولا يخشى عقاباً. وأكثر مايحفز الناس إلى فعل الخير: رجاء الثواب. وأكثر مايزعهم عن اقتراف الشر خوف العقاب. فإذا لم يرجوا ثواباً، ولم يخشوا عقاباً، لم يفعلوا خيراً، ولم ينتهوا عن شر.

وإذا كنا نرى كثيراً ممن يدعون الإيمان بالبعث والجزاء، يقترفون شر المنكرات بغير خجل ولا استحياء. فكيف بمن لا يؤمن ببعث ولا جزاء؟.

الإيمان بعدل الله يقتضينا الإيمان بالبعث والجزاء، لأننا نرى في الـدنيا أشخـاصاً طيبين مستقيمين صالحين، ولكن حظوظهم في الدنيا منقوصة يقاسون أحياناً شظف العيش، وذل الحاجة. وأحياناً يقـاسـون ألم المـرض والحـرمـان من العـافية. وطوراً يضطهدهم الأشرار، أو تعتريهم النكبات. وتحل بهم الكوارث. ونرى أشراراً مستمتعين بالصحة والعافية والثراء الواسع والجاه العريض. ويأبى عدل الله إلا أن يسوى بين عباده. فمن فاته حظه في الدنيا فلابد أن ينـاله في الآخرة. ولابد أن يجزى الناس بأعمالهـم. إن خيـراً فخيـر. وإن شـراً فشـر. فـإذا انقضـى الأجـل الذي كتبـه الله لهذه الحياة نفخ في الصور. و «النفخ في الصور» حدث من أحداث القيامة لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى، يترتب عليه تغير كلي في هذا العـالم. واضطراب في نظامه. فتكور الشمس. وتنكدر النجوم. وتنشق السماء. وتدكدك الأرض. وتسير الجبال. وتسجر البحار. ويصعق من في السموات والأرض. ثم ينفخ فيه مرة أخرى، فإذا هم قيام ينـظرون، فيحاسبهم الله، ويزن أعمالهم بالقسط. قال ـ تعـالى ـ في سورة الأعـراف: ﴿**والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك هم الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون**﴾. [الأعراف: ٨ ـ ٩].

ولقد وصف الله ـ تعالى ـ ذلك اليوم وما فيه من جسام الأحداث أصـدق وصف. وصـوره أروع تصوير. فقال ـ تعالى ـ في سورة الـزمـر: ﴿**وسيق الـذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها**

فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيـات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين * قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين * وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾. [الزمر: ٧١ - ٧٣]. .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة في وصف شقاء أهل الجحيم. ونعيم أهل الجنة، لا أطيل القول بإيرادها.

والآن أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك. وإلى البريد القادم إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله.

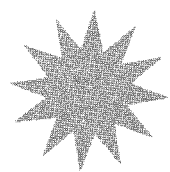

(١٦)
الإيمان باليوم الآخر أيضا

أخـي الحبيـب:

أدام الله لك الهداية والتوفيق، ويسر لك إلى الخير والسعادة أمثل طريق.

سـلام عليـك.

وبعـد: فإني لم أرو غلتي من الحديث معك في شأن البعث في رسالتي السابقة، فأردت أن أتبعها برسالة أخرى تكون مكملة لها، ومزيلة لما فيها من لبس أو غموض. فاسمع ـ سمعت الخير ـ.

لم يطالبنا رب العزة ـ جل ثناؤه ـ بالإيمان بالبعث بغير أن يقيم لنا الأدلة الساطعة، والبراهين الناصعة على قدرته ـ تعالى ـ عليه، وعلى أن العقول السليمة تقره، ولا تؤمن بسواه، وعلى أنه من مقتضيات العدل، وأن العدل لا يتم بدونه، ولو لم يفصل لنا هذه الأدلة لم يكن إيماننا إيماناً، بل خضوعاً وإذعاناً، ولكنه ـ سبحانه ـ أراد أن يكون إيماننا بالبعث والنشور عن اقتناع ويقين، وطمأنينة قلب، ومتانة عقد؛ فذكر في كتابه العزيز ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ الأدلة القاطعة التي لو تأملها المتأمل، وتدبرها المتدبر لم تدع عند مساغاً لشك، ولا مجالا لريبة، ولملأت عقله يقينا، وقلبه

طمأنينة، ونفسه سكينة، وصدره ثَلَجاً.

قص الله ـ تعالى ـ ماكان من أمر ذلك الذي مر على قرية هامدة، ليس فيها إلا العظام النخرة، والرفات السحيق. فتعاظمه الأمر، وسأل نفسه سؤال من ملك عليه العجب أقطاره: كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ فأقنعه الله ـ تعالى ـ بالدليل العملي أن إعادتها إلى الحياة لا يعجز رب العزة القادر على كل شيء. فاستمع إلى الآية الكريمة في روعة بلاغتها، وجمال قصصها، وبالغ إقناعها، وناصع سلوكها، يقول ـ تعالى ـ: ﴿**أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير**﴾. [البقرة: ٢٥٩].

وذكر لنا ماكان من إبراهيم حين طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، حتى يرى ذلك عين اليقين، وكيف ملأ الله قلبه طمأنينة حين أراه بطريقة عملية كيف تستجيب الأرواح لأمره إذا دعاها، لتعود إلى أجسادها. قال ـ تعالى ـ: ﴿**وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصُرهن إليك ثم اجعل على كل جبل**

منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم﴾. [البقرة: ٢٦٠].

وتدبر الحجة الدامغة في قوله تعالى: ﴿وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون * أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾. [يس: ٧٨ - ٨٢].

وتدبر البرهان المبين في قوله - تعالى -: ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يَعْيَ بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتىٰ بلى إنه على كل شيء قدير﴾. [الأحقاف: ٣٣].

وما أبلغ الحجة التي تجتلى نورها في قوله - تعالى -: ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق[1] يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون * وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين[2] * فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شي قدير﴾. [الروم: ٤٨ - ٥٠].

وإن العجب ليملأ عليك نفسك حين تتدبر هذه الآيات سيسفر لك نورها. فترى كيف يأخذ بعضها برقاب بعض، وكيف يقاس فيها الغائب على الشاهد، وكيف يستدل فيها بما تراه العين على

(١) المطر. (٢) يائسين.

مايدركه العقل، ولن يسعك إلا أن تهتف من أعماق صدرك: آمنت بالبعث والنشور! فاستمع لما يقول الله ـ جل ثناؤه ـ: ﴿**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج * والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج**﴾. [ق: ٦ ـ ١١].

ويستدل ـ سبحانه ـ على عدله المطلق، وعلى أنه لا يسوى بين المؤمن والكافر. ولا يترك الإنسان هملا، وعلى أنه لابد من البعث لتجزى كل نفس بما تسعى، بقوله تعالى: ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين * مالكم كيف تحكمون**﴾. [القلم: ٣٥ ـ ٣٦].

وقوله تبارك اسمه: ﴿**أيحسب الإنسان أن يترك سدىً * ألم يك نطفة من منيٍّ يُمنَىَ * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى**﴾.

والآيات في هذا المعنى أكثر من أن تستوعبها هذه العجالة.

هذا؛ وأستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك. وسلامي عليك بقدر شوقي إليك.

والسلام عليك ورحمة الله.

(١٧)
القضـاء والقـدر

أخـي الـودود:

أتم الله نعمته عليك، وبصرك بالحق، وجعلك من أنصاره، وألهمـك التصديق بالحسنى، ويسرك لليسرى، وهداك صراطك مستقيما، ونفعك بما علمك، وعلمك ماينفعك، وزادك علما.

سلام عليك.

وبعـد: فإن رسـالتـك الأخـيرة أقـرت عيني، وأثلجت صدري، وأطفأت غلتي، وضمدت جراح قلبي، وما أبردها على كبـدي أن أعلم أنـك ـ على الرغم من كثرة مشاغلك، وازدحام مكتبك بالقضايا والمتاقضين ـ بدأت تختلس من أوقات فراغك التي أخذت تضيق وتتدانى أطرافها ـ لحظات تدعو فيها إلى سبيل ربك بالحكمـة والموعظة الحسنة، وتجادل معارضيك بالتي هي أحسن، حتى هدى الله على يديك رجـالا كنت تحسب لمس النجوم أدنى منالا، وأيسر بلوغا من لمس قلوبهم. فبارك الله فيك، وأكثر في هذه الأمة من أمثالك.

تسألني في ختام رسالتك أن أكتب لك كلمة موجزة في القضاء والقدر، تجلو غامض هذه العقيدة، وتوضح مبهمها، وتيسر عيرها.

فاعلم ياأخي ـ علمت الخير ـ أن عقيدة القضاء والقدر لا لبس فيهـا ولا غمـوض، ولا إبهـام ولا عسر. فدع ماسمعت فيها وما قرأت، وخذها عني سهلة ميسرة، تنساب إلى عقلك انسياب الماء إلى منحـدره، سأترك هذه المصطلحات العلمية التي وقفت دهراً طويلاً حائـلاً دون فهم النـاس لهذه العقيدة السهلة سهولة الملة الإسلامية، السمحة سماحة الإسلام، اليسيرة كل اليسر.

لا مرية في أن هذا العالم لم يخلق عبثاً، ولا هو يسير فوضى بل هو خاضع لقوانين حكيمة، ونواميس دقيقة، لا يخرج عن سلطانها قيد شعرة.

هذه القوانين الأزلية الأبدية الخالدة الحكيمة التي وضعها رب العزة ـ جل ثناؤه ـ، ليسير عليها هذا الكون بسمائه وأرضه، وشمسه وقمـره ونجومه وأفلاكه، وجباله وبحاره، وحيوانه ونباته، وعامره وغامره ـ هي القدر.

أما القضاء: فهو تنفيذ أحكام هذه القوانين، وإبراز نتائجها في الخارج، على مقتضى علمه ـ تعالى ـ وحكمته.

واسمح لي أن أضرب لك مثلاً يوضح لك ماقدمته ويفصله:

وضرب رب العـزة قانوناً يقضي بأن يكون مجموع زوايا المثلث الثلاث مساوياً لزاويتين قائمتين أي ١٨٠° درجة. فهذا القانون: قدر.

فإذا أنت رسمت مثلثاً أيًّا ماتكن أضلاعه وزواياه: كان مجموع زواياه ١٨٠° حتما. ومهما تحاول، ومهما تبذل من الجهد لكي تغير

هذه الحقيقة، فلست بمستطيع إلى ذلك سبيلا.

تنفيذ هذا القانون وبروز حكمه في الخارج، وجريانه على المثلث الذي رسمته: هو القضاء.

وقس على ذلـك سائـر القـوانين الهندسية والرياضية والفلكية والـطبيعية والكيماوية، وقوانين الوراثة والغريزة، ومايجري في عالم النبات والحيوان والجماد وما إلى ذلك.

وذلك ماعبر عنه القرآن الكريم بسنة الله التي لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا.

فالأسباب تفضي إلى مسبباتها حتما، والمقدمات تسلم إلى نتائجها لا محالـة. فمن أتى الأسبـاب استهـدف لمسببـاتهـا، ومن اتخـذ المقدمات أفضت به إلى النتائج. ولا يظلم ربك أحداً.

وكل مايصدر عن الإنسان فهو عمله الذي يستهدف لنتائجه، ويتحمل تبعاته، ويلقى جزاءه، والناس مجزيون بأعمالهم: إن خيراً فخير. وإن شرًّا فشر.

ولا يسوغ لامريء أن يقترف سيئة، ثم يحمِّل القضاء والقدر تبعة مااقترف، بل عليه أن يرجع باللائمة على نفسه، ويتوب من ذنبه ليحظى بمغفرة ربه، فقد قال ـ تعالى ـ: ﴿**ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما**﴾. [النساء: ١١١].

والكلمة التي تجري على ألسنة العامة وأشباههم وهي قولهم: إلهي ماعصيتـك باختياري إلا بجهـلي وقضـائـك ـ من الكذب الوقح، والمغالطات الجريئة، إذ كل عاص يشعر بأنه يقترف المعصية

بكامل اختياره، وإن المرء حين يقترف الخطيئة أول مرة يحس صراعاً قويًّا في نفسه بين داعي الواجب والحق والفضيلة، وداعي الهوى والباطل والرذيلة ولكنه يؤثر اللذة والعاجلة. والشهوة العابرة على النعيم المقيم، فينساق مع الهوى والفتون، ويخفت صوت الضمير الذي يدعوه إلى الفضيلة فكيف. يزعم بعد هذا أنه لم يعص الله باختياره؟ وكيف يحمل قضاء الله جريرة معصيته؟ أيحسب أن هذا الكذب يبرر خطيئته. ويبرئه من إثم مااقترفت يداه؟.

وإذا شعر أن القضاء يجرفه نحو الهاوية فلم يستخذى له؟ ولم لا يقاومه بكل مامنحه الله من قوة؟ وقد علمنا الله ـ تعالى ـ أن ندافع الأقدار بالأقدار. فندفع قدر الجوع بقدر الطعام، وندفع قدر الظمأ بقدر الشراب، وندفع قدر المرض بقدر الدواء، وقدر هجوم العدو بقدر الدفاع وإعداد مايلزم من القوة، وقدر الذنب بقدر التوبة النصوح. وهكذا.

ولله در أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ إذ يلقى كلمة الفصل في مشكلة القضاء والقدر حين سئل: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟ فقال للسائل:

«ويحك! لعلك ظننت قضاءً لازما، وقدراً حاتماً، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد. إن الله ـ سبحانه ـ أمر عباده تخييراً. ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيرا، ولم يكلف عسيرا وأعطى على القليل كثيراً. ولم يُعْصَ مغلوباً، ولم يطع مكرها، ولم يرسل الأنبياء لعبا، ولم ينزل الكتاب للناس عبثا، ولا خلق

السموات والأرض ومابينهما باطلا. ذلك ظن الذين كفروا. فويل للذين كفروا من النار».

هذا، وإن كلمة علي ـرضي الله عنه ـ ـ على إيجازها ـ لتغني عن مقال طويل، ورسالة محبرة.

أذكر أني أهديت إليك محاضرة لي في القضاء والقدر، ويغلب على ظني: أن كثرة مشاغلك لم تمكنك من الاطلاع عليها، إذ لو قرأتها لم تحتج بعدها إلى مزيد، ولعلك ترجع إليها إن أتيحت لك الفرص.

وبهذه الرسالة ـ أيها العزيز ـ يتم ما أحببت أن أجلوه عليك من حقائق الإيمان، بعدما أوضحت لك قواعد الإسلام، والأمر جلل أيها الحبيب! يغني فيه القول، ولكن الاعتقاد الصحيح والعمل. إذ ليس الإيمان بالتمني، ولكن ماوقر في القلب وصدقه العمل.

أسأل الله بواسع رحمته أن يكتب لي ولك التوفيق، ويهديني وإياك إلى أمثل طريق.

وإلى اللقاء القريب إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١٨)
الإحســـان

أخـي الحبيـب:

زادك الله توفيقـاً، وهـداك إلى كل خير طريقاً، وعصمك من الخـطل وجنبـك الـزلـل، ودرأ عنك الشبهات، وكفاك الملمات، وجعلك من المحسنين.

سلام عليك.

وبعـد: فقـد كتبت تسـألني أن أقول لك في الإحسان قولاً شافياً. وأشرحه لك شرحاً وافياً، وهل تجد قولاً أشفى، وشرحاً أوفى من قول معلم الخير، وشرح الرسول الكريم ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ: «**الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١).

هذا هو القـول الفصل الذي يطمئن به القلب، وتسكن إليه النفس، ويثلج به الصدر.

هذا مثل رائع من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ـ ﷺ ـ: لفظ قليل ومعنى كثير، كلمات معدودة. ومعان لكثرتها غير محدودة.

يصـور ـ عليه الصـلاة والسلام ـ الإحسان في أجمل مظاهره، وأروع صوره، وأجمـع حدوده، ويسـوق معنـاه إلى الأذهان سوقاً

(١) جزء من حديث متفق عليه.

رفيقاً، حتى ينساب فيها بغير عسر، كما ينساب الماء إلى منحدره.

هذا هو الإحسان الذي أعوز الصوفية لفظُه ومعناه، فوضعوا له اسماً لم يعرفه الإسلام. ولم ينطق به النبي العربي ولا صحابته الأخيار، ولا خلفاؤه الراشدون، وهو لفظ «التصوف» الذي مانطق به مسلم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. وجعلوا من تمام معناه: اعتناق عقيدة «وحدة الوجود» التي ضل بها كثير ممن قال بقولهم، ونسج على منوالهم.

الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه!

هكذا يصوره رسول الله ـ ﷺ ـ ليقربه في أوجز لفظ، وأعذبه إلى قلوب المؤمنين: أن تعبد الله كأنك تراه!

كأنك تراه في جلاله وعظمته وعلمه وحكمته، وقوته وقدرته وفضله ورحمته، وقد بهرك جماله، وغمرتك أنواره.

كأنك تراه، وقد خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ماشاء ركبك.

كأنك تراه يتولاك بالرعاية، ويتعاهدك بالعناية، ويوالي عليك الألطاف.

كأنك تراه يدبر أمورك وأمور الخلق قاطبة، ويسخر لك رزقك وأرزاق الأحياء طرًّا.

كأنك تراه يدبر أمر نفسك، ودقات قلبك، وهضم معدتك وأمعائك وحس أعصابك، وشعور حواسك، وإدراك عقلك، وحركات ذهنك وومضات فهمك.

كأنك تراه، وهو يخرج لك من أديم الأرض طعامك، وينزل لك من السماء شرابك، ويحيل غذاءك دماً، ودمك قوة في بدنك، ونوراً في بصرك، وسمعاً في أذنك، وشمًّا في أنفك، ولمساً في يدك، وذوقاً في لسانك.

كأنـك تراه وهو قائم على كل نفس بما كسبت، وبيده نواصي عباده. من تواضع منهم رفعه، ومن استكبر خفضه.

كأنـك تراه، والأرض جميعـاً قبضتـه يوم القيامـة والسمـوات مطويات بيمينه. وقد عنت له الوجوه، وخشعت الأبصار.

كأنك تراه، وقد اتصف بكل كمال يجول في ذهنك. أو يهجس في خاطرك، أو تحدث به نفسك، أو يعزب إدراكه عن علمك. وقد تنزه عن كل نقص. أو شائبة نقص، أو شبهة نقص. وتعالى عن كل عيب، أو شائبة عيب. أو شبهة عيب.

كأنك تراه وقد تفرد بالعزة والكبرياء، وتوحد في الأرض والسماء، وتنـزه عن الشريك والنـظير. وتعـالى عن الشبيه والمثيل، واستأثر بالملك والسلطان، والتصرف في جميع الأكوان.

كأنك تراه، وقد استوى على عرشه يدبر الأمر، والأرض جميعاً قبضته. والسموات مطويات بيمينه.

ولكن حذار أن تفكر في ذاته فتهلك، فإنك لن تقدره قدره، وليس كمثله شيء. فإذا مثلت لنفسك كل هذه المعاني. وتصورت مجالي العظمة، ومظاهر الجلال. فانظر كيف تعبد ربك.

لا جرم أنك بعد هذا إن شهدت أن لا إله إلا الله شهدت بعلم

وعقيدة. ويقين وإيمان. وإن شهدت أن محمداً عبده ورسوله، شهدت بتصديق وإخلاص وإذعان. وإن صليت أقمت الصلاة وأديتها تامة المعاني والأركان في خشوع وخضوع وتقوى وإحسان. وإن آتيت الزكاة آتيتها طيبة بها نفسك، مطمئناً بها قلبك. محتسباً ثوابها عند من لا يضيع أجر المحسنين. راجياً جزاءها عند خير الرازقين. وإن صمت أو قمت فعلت ذلك إيماناً واحتساباً. فلم تفسق، ولم ترفث، ولم تصخب، ولم تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواءً. واثقاً بالأمر الكبير عند من أحصى كل شيء كتاباً. وإن استطعت الحج إلى بيته الحرام، بادرت وسابقت، وشمرت وسارعت لترى هذه المشاهد التي تصبو نفوس المؤمنين إلى رؤيتها. وتتوق قلوب الصالحين إلى مشاهدتها، ولتابيع ربك في بيته الكريم، وتذكره في الأيام المعدودات، والبقاع الطاهرات، ولتدعوه في خشوع المتبتلين، وتقوى المخبتين، وإيمان الصادقين، وضراعة القانتين، ولتحظى بإقباله عليك، وتظفر برضاه عنك.

وإن عاملت الناس عاملتهم بأمانة وإخلاص وصدق ووفاء، فإن حدثتهم لم تكذبهم، وإن وعدتهم لم تخلفهم، وإن ائتمنوك لم تخنهم. وكنت معهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وكالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وجعلت نصب عينيك توصيل الخير إليهم. ومن أكبر همك دفع الأذى عنهم، وكنت ابناً للكبير، وأباً للصغير، وأخاً للنظير.

وراقبت ربك في عبادتك كلها، في وضوئك وطهارتك، وذكرك وتسبيحك، وفي أعمالك كلها، وفي معاملاتك جميعاً، وذكرته قائماً، وقاعداً وعلى جنبك.

فإن ملكت عليك هذه العقيدة نفسك وقلبك، واختلطت بلحمك ودمك، استطعت أن تعبد ربك كأنك تراه. فإن عبدت ربك كأنك تراه، لأنك على يقين من أنه يراك، فقد بلغت مقام الإحسان. وطوبى لك، ولك البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فإن الإحسان درجة فوق درجة الإسلام، ومنزلة فوق منزلة الإيمان، لأن الإنسان لا يبلغ مرتبة الإحسان إلا إذا استكمل الإسلام والإيمان، وقد بشر الله المحسنين بحبه فقال: ﴿**وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**﴾.

والمؤمنون جميعاً يوقنون بأن الله يراهم، ولكنهم لا يسمون جميعاً إلى المستوى الذي يعبدون فيه ربهم كأنهم يرونه. فإذا رقى المؤمنون في هذه الدرجة، وقام هذا المقام تربى في نفسه خلق الحياء من الله تعالى، ومن تربى فيهم هذا الخلق الكريم، فإنه يحرسهم من كل زلة، ويحفظهم من كل سيئة، ولا جرم أنهم يعيشون طيبين، وتتوفاهم الملائكة طيبين يقولون: سلام عليكم طبتم فادخلوا دار الكرامة خالدين.

جعلني الله وإياك من المحسنين، الذين يعبدون الله كأنهم يرونه، ورزقنا قوة اليقين بأنه يرانا، حتى نعبده عبادة المحسنين.

هذا وأرجو أن أكون بهذه القطرات قد وفقت بعض التوفيق لبلِّ

صداك إلى المعرفة، وإرواء ظمئك إلى المزيد من العلم، وإرضاء تطلعك إلى الإحاطة بما خفى عليك من أمور دينك.

ولـسـت أزعم لنفسي أني أعلم منـك، ولكني أجـد لذة في مسـاجلتـك، وسعـادة في مراسلتـك وذلك مايطوّع لي أن أطيل الحديث، وأفيض في القول، فاعذرني إن رأيتني أسهبت. فإني لم أبلغ معشار ماينبغي أن يقال.

وإلى اللقاء القريب.

والسلام عليكم ورحمة الله.

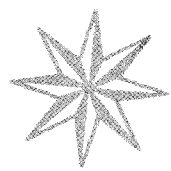

الفهـــرس

الموضـوع	الصفحـة
المقدمـــــة	٣
الإسلام العام	٧
الإسـلام الخـاص ـ قواعد الشهادتان	١٣
توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية	١٧
محمد رسول الله	٢٣
إقـام الصـلاة	٢٧
إيتـاء الزكـاة	٣٣
الصيـــام	٣٨
الحـــج	٤٣
الإيمـــان	٤٩
الإيمـــان بالله	٥٥
شعب الإيمـان	٥٩
الإيمان بالملائكة	٦٥
الإيمان بالكتب السماوية	٧٠
الإيمان بالرسـل	٧٥
الإيمـان باليـوم الآخـر	٨١
الإيمان باليوم الآخر أيضاً	٨٥
القضاء والقـدر	٩٤
الإحســـان	٨٩